التغير الاجتماعى

دراسة تحليلية من منظور التربية الإسلامية

الدكتور سيف الإسلام علي مطر

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة . ش.م.م

التغير الاجتماعي

دراسة تحليلية من منظور التربية الإسلامية

كافة حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م
الطبعة الثانية ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٨ م

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ـ المنصورة .

الإدارة والمطابع : المنصورة ش الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب ت ٣٤٢٧٢١ / ٣٥٦١٣٠ / ٣٥٦١٣٠
فرع المنصورة : أمام كلية الطب ت ٣٤٧٤٢٣ ص ب ٢٣ تلكس DWFA UN 24004
فرع القاهرة : ٤١ ش شريف ت ٣٩٢١٩٩٧ / ٣٩٣٤٥١٨ / ٣٩٣٤٦٠٦

بسم الله الرحمن الرحيم

دعوة إبراهيم عليه السلام
ومنهج محمد ﷺ :

﴿ ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم ﴾ — (البقرة — ١٢٩) .

سنة الله سبحانه وتعالى :

﴿ إنَّ الله لايُغيرُ ما بقومٍ حتى يُغيروا ما بأنفُسِهم ﴾
(الرعد — ١١)

﴿ فهل ينظرون إلّا سنة الأولين فلن تجد لسنّةَ الله تبديلا ولن تجدَ لسنةِ الله تحويلاً ﴾
(فاطر — ٤٣)

صدق الله العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ . وبعد .. فهذه الدراسة تتناول موضوع التغير سواء كان تغيير الأفراد أو تغيير المجتمعات فبينهما علاقة والمنطلق الذى تنطلق منه تلك الدراسة آية فى كتاب الله سبحانه وتعالى حوت مايريد شخص ما أن يركز عليه فى هذا الموضوع والآية هى .. ﴿ إن الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ (الرعد ــ ١١) تلك الآية التى وضعتها فى أول صفحة من صفحات بحث صغير قدمته عندما كنت طالبا فى الدبلوم الخاص سنة ١٩٧٢ وضعتها ولم أكن أعرف ما تحويه من قوانين تعتبر أساسا لأى دراسة تتعلق بظاهرة التغير ثم مرت الأيام وقابلت أحد الزملاء الدراسين فى أثناء بعثتى الدراسية إلى الولايات المتحدة الأمريكية وألقى محاضرة حول تلك الآية وما حوته من قوانين للتغير الاجتماعى وعدت من البعثة لأدرس فى كلية التربية جامعة الإسكندرية فى قسم أصول التربية وكان موضوع التغير الاجتماعى من بين الموضوعات التى كلفت بتدريسها ثم يذهب زميل لى هو أخى وصديقى الدكتور هانىء عبد الستار فرج إلى الإمارات أستاذاً زائرا بالجامعة فيوكل إلى تدريس فلسفة التربية فى الصف الرابع وقمت بإعداد بعض المحاضرات كان من بينها محاضرات عن « فلسفة » التربية الإسلامية ثم قابلت صديقا وأخا عزيزاً متخصصا فى هذا المجال هو الدكتور عبد الرحمن النقيب وعرضت عليه ماأدرسه فشجعنى على الكتابة فى هذا المجال فجزاه الله خيراً فقلت إن هناك شروطا معينة ينبغى توافرها قبل أن أدخل هذا المجال ورغم شعورى أنْ الكتابة فى هذا المجال واجب وواجب ثقيل وأمانة يجب تأديتها إلا أننى كنت أرى أن هناك شروطا معينة ينبغى توافرها قبل أن أدخل هذا الميدان ثم أعرت إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميةبالرياض وكان الجو مشبعا بالتربية الإسلامية ووقع نظرى على كتاب للأستاذ جودت سعيد أحد المفكرين المسلمين ، عنوان الكتاب « حتى يغيروا مابأنفسهم » وقرأت الكتاب وقرأت حول الموضوع ثم وجدت نفسى أقرأ فى التغيير وعلاقته بالتخصص الأصلى وهو التخطيط التربوى فما هدف التخطيط إلا إحداث

التغير فيكون ذلك كله مشجعا لى على بداية ولوج هذا الميدان : ميدان التربية الإسلامية .

ولقد ذكرت هذه المقدمة لكى أقول أننى أتحسس فى الدخول إلى هذا المجال وأدخله على استحياء ويرجع ذلك لقناعتى بأن من يدخل فى هذا الميدان لآبد أن يكون مؤهلا تأهيلا إسلاميا خاصا وكثير ماكنت أنتقد بعض الكتابات فى هذا الميدان . ثم قرأت كتابا عن الاجتهاد ، وكيف أن الدين الإسلامى الحنيف قد فتح باب الاجتهاد إلا أن ذلك بشروط ولاأستطيع أن أقول أن الشروط موجودة بالنسبة لى فالله وحده يعلم الأسرار والخفايا والنوايا ولكن الفكرة قد اختمرت على أية حال ووجدت نفسى أكتب فى هذا الموضوع وأسأل الله تعالى القدير أن تكون هذه الدراسة بداية لدراسات وبحوث أخرى أقول هذا وأتوكل على الله لأتناول هذا الموضوع على استحياء ولا أملك إلا أن أدعو :

﴿ رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى ﴾ .
(طه : ٢٥ ــ ٢٨)

وستكون هذه الدراسة منصبة على بعض النقاط حيث تتعرض لمفهوم التغير الاجتماعى بوجه عام فى بعض الكتابات ويهمنا هنا أن نشير أن الحكمة ضالة المؤمن وهو أحق بها وليس هناك مايمنع من الاستفادة من تجارب الآخرين فى أى مكان فى هذا الميدان فإننا قد نعرف تفاصيل النظام الإسلامى فى الميادين المختلفة وخاصة فى ميدان التربية ونظرة الإسلام إلى موضوع التغير ولايكفى القول هنا أن الإسلام نظام شامل للحياة فهذا عموم لايفيد كثير ا ولكن ينبغى أن نوضح ذلك لنبين القصور الموجود فى النظريات والنظم الوضعية حتى إذا تكلمنا ونقدنا كان ذلك ناتجا عن علم ومعرفة ومن هنا ستتناول الدراسة بإيجاز مفهوم التغير الاجتماعى وعوامله ، ثم قوانين التغير الاجتماعى فى الإسلام ثم مفهوم التربية الإسلامية وهدف التربية الإسلامية فى محاولة للخروج ببعض السمات الفارقة للتربية الإسلامية ثم كيفية تحقيق هدف (أهداف) التربية الإسلامية ثم ميادين التربية الإسلامية تلك الميادين التى يمكن أن تكون محور تغيير مابالأنفس ليتحقق تغيير مابالقوم ثم بيان نظام التربية فى الإسلام ودوره فى إحداث التغيير فى مابالأنفس وكيف يمكن أن تتغير بترسيخ القيم والأفكار

والمفاهيم إلى جانب نظرة الإسلام إلى الطبيعة الإنسانية وإمكانية تهذيبها وتنميتها فى الاتجاه السلم . وتتناول الدراسة كذلك التربية الإسلامية والضبط الاجتماعى لما لهذا من علاقة بموضوع التغير الاجتماعى وكيف أن الحدود والعبادات لها أثر كبير فى عملية الضبط الاجتماعى الذى يبدأ بالتربية الإسلامية ثم بعد ذلك تقام الحدود فالوقاية خير من العلاج ، ثم بعد ذلك تبين الدراسة التربية الإسلامية فى علاقتها بالنظم الاجتماعية الأخرى وعلاقة ذلك بموضوع التغير ثم فى النهاية تحاول الدراسة أن توضح أن نقطة البداية هى تغيير مابالأنفس كمقدمة منطقية لتغيير مابالقوم وأن الطريق الوحيد لتغيير مابالأنفس يكمن فى التربية الإسلامية وماتملكه من سمات تنطلق منها قوى الفرد وطاقاته لإحداث هذا التغير .

لقد من الله علينا أن بعث فينا رسولا يتلوا علينا آيات الله ويزكينا ويعلمنا الكتاب والحكمة وبهذه التزكية والتعليم والحكمة يكون تغيير مابالأنفس وبتغيير مابالأنفس سيتغير المجتمع وتلك سنة الله ولن تجد لسنته تحويلا . إذن العمل هو تغيير مابالأنفس بالتربية والتعليم والنتيجة هى تغيير المجتمع وليست هناك نتيجة بدون عمل وأسأل الله أن أكون قد وفقت فى عرض هذا الموضوع وأسأل الله أن يكون بداية لدراسات أخرى فى هذا الميدان وأسأل الله المغفرة .

﴿ ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولاتحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولاتحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ﴾

والله الموفق وهو الهادى إلى سواء السبيل

دكتور

سيف الإسلام على مطر

كلية التربية جامعة الإسكندرية

كلية العلوم الاجتماعية جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الرياض فى جمادى الثانية ١٤٠٥ هـ — مارس ١٩٨٥ .

* * * * *

مفهوم التغير الاجتماعى

ربما تكون أصعب القضايا المفاهيمية فى دراسة التغير الاجتماعى هو تعريف التغير الاجتماعى وهذه مشكلة كل العلوم الاجتماعية بوجه عام ولهذا يختلف الباحثون فى تحديد هذا المفهوم فتعددت التعاريف بتعدد المراحل لدراسة التغير ، وتحديد المفاهيم المتعلقة بميدان معين يعتبر أول الطريق نحو دراسة هذا الميدان .

والمشكلة فى العلوم الاجتماعية بوجه عام هى مشكلة التعريف فكثيراً مايكون هناك عدم اتفاق على تعريف محدد أو يكون التعريف مصدراً لسوء الفهم أو تغلب عليه العمومية أو تغلب عليه الضحالة فلا يكون شاملاً إلى حد ما للمفهوم الذى يقصد به .

وهذه المشكلة تصبح ظاهرة عندما نحاول أن نفرق بين التغير وعدم التغير ، فمعظم الأشياء وربما كلها دائماً فى حالة تغير فالأشياء دائماً متغيره .

ويعتبر موضوع التغير الاجتماعى من الموضوعات التى شملتها كثير من الدراسات بالبحث والدراسة والتحليل منذ نشأة المجتمعات وذلك لكونه ظاهرة عرفها الإنسان فى طريقة معيشته ، وفى علاقاته الاجتماعية ، وفى تغير القيم والعادات ، وفى تغير الحضارات والمؤسسات منذ فجر التاريخ .

ويعتبر التغير سنة من سنن الحياة ، والمتتبع لحركة المجتمعات الحديثة يجد أن كل شىء فى عالمنا يتغير يمضى ويتحرك وهذا ينطبق على الأفراد والجماعات والشعوب والمجتمعات والأفكار والمبادىء والقيم وفى النظريات التى تظهر فتقلب الأوضاع وتعيد الحسابات فكل شىء يسير ويتحرك والتغير فى كل اتجاه وفى كل زمان ومكان وفى كل شىء .

إن أهم مايميز المجتمعات قديمها وحديثها ناميها ومتقدمها إنها مجتمعات متغيرة وهذه حقيقة فلا يوجد مجتمع ثابت ولايوجد مجتمع إلا ونلمس تغييراً فى اقتصادياته وسياساته وتنظيمه وبنيانه وحجمه وقيمه ، (فالتغير الاجتماعى ظاهرة

أساسية تتميز بها الحياة الاجتماعية فى سبيل بقائها ونموها ونهايتها إلى التوازن مع الواقع والاستقرار الاجتماعى »[1]

والفرق بين المجتمعات المتقدمة والنامية والمتخلفة هو فرق يعزى إلى التغير الاجتماعى والفرق بين المجتمعات بوجه عام وبخاصة فى العصر الحديث هو فرق فى سرعة التغير الاجتماعى .. فقد يكون التغير بطيئاً يصعب إدراكه فى فترة قصيرة من الزمن وقد يكون متدرجاً وقد يكون سريعا يمكن إدراكه بسهولة وملاحظته وقد يكون فى قفزات .

ولايحدث التغير الاجتماعى فى كل الظواهر الاجتماعية بطريقة واحدة أو بنسبة واحدة بل إن ذلك يختلف من ظاهرة إلى أخرى ، (وقد تندفع جماعات فى التغير أكثر من غيرها وقد يتطرف البعض الآخر فى هذا التغير ، ومن الملاحظ أن العناصر المادية فى التراث الاجتماعى تكون أسرع من العناصر الغير مادية فى التغير ويعرف هذا بالتخلف الثقافى) .[2]

والتغير ظاهرة تتناول كل مقومات الحياة الاجتماعية والنظم والعلاقات الاجتماعية وهذا الظاهرة من الأهمية بمكان حتى أن كثيراً من الباحثين اهتموا بدراستها وخاصة علماء التربية والاجتماع والفلسفة وذلك لكون التغير ضرورة حياتيه للمجتمعات البشرية فهو سبيل بقائها ونموها وبالتغير يتهيأ لها التكيف مع واقعها وبالتغير يتحقق التوازن والاستقرار فى أبنيتها وأنشطتها وعن طريق التغير تواجه المجتمعات متطلبات أفرادها وحاجاتهم المتجددة وعن طريق التغير يحاول الإنسان أن يسد نقصه ، ويضيق الفجوة بين المجتمعات المتقدمة والمتخلفة .

ولقد اتفق العلماء والباحثون على وجود التغير الاجتماعى وحدوثه ولكنهم لم يتفقوا بنفس الصورة على مفهومه ومدلوله ويتناول ذلك سعيد اسماعيل على بقوله « وإذا كان هناك مايشبه الإجماع على أهمية التغير وضرورته إلى أن الوسيلة إلى تحقيقه لم يكن عليها اتفاق ، فبينما رأى البعض أنها تكمن فى الأخذ بالعلوم الحديثة

(١) حامد عبد السلام زهران . علم النفس الاجتماعى ، عالم الكتب القاهرة ١٩٧٢ .ص٢٤٤ .

(٢) عبد اللطيف فؤاد إبراهيم . المناهج . مكتبة مصر ، القاهرة ، ١٩٦٧ . ص٩٧ .

رأى البعض الآخر ضرورة العودة إلى الدين فى أصوله الأولى البسيطة ، وإن استطاع البعض الآخر ألا يوجد تعارضاً بين الاثنين بأن يؤكد أن الدعوة إلى الدين بهذا المعنى لاتعنى الرجوع بالمجتمع إلى الوراء وإنما تخليص المفاهيم الدينية مماشابها من خرافات وبدع وجمود » (١)

ويوجد بعض التعريفات للتغير الإجتماعى حيث يعرف مصطفى الخشاب التغير الاجتماعى بقوله « إن التغير فى ذاته ظاهرة طبيعية تخضع لها مظاهر الكون وشئون الحياة بالإجمال وهو أكثر وضوحاً فى الحياة الاجتماعية لأنها فى تغير دائم وتفاعل مستمر وهذا ماحدا ببعض العلماء إلى القول بأنه ليست هناك مجتمعات ولكن الموجود تفاعلات وعلاقات اجتماعية فى تغير دائم وتفاعل مستمر وآثار ولكن متبادل »(٢) ويعرف أوجبورن Ogburn التغير الاجتماعى فيذكر أن « التغير الإجتماعى يعنى أساساً تلك التحولات التى تحدث فى التنظيم الاجتماعى أى التى تحدث فى بناء المجتمع ويشير التغير الإجتماعى غالباً إلى التغير فى السلوك الإنسانى بينما التغير الثقافى يتعلق بإبداع الإنسان »(٣) وبالتأكيد عندما نتكلم عن السلوك الإنسانى يمكننا أن نقول أن معظم السلوك يتقلب ويتغير ويمكن القول أن الإنسان بسلوكه هو أداة التغير . ولقد عرف ليبت LIPPITT التغير على أنه « أى تغير أو تبدل مخطط أو غير مخطط فى الوضع الراهن لموقف أو لعملية أو لكائن حى ، ويقصد بالتغيير المخطط .. أى تغير مقصود وغرضى أو محاولة عمدية بواسطة فرد أو منظمة أو جماعة أو نظام إجتماعى لكى يؤثر مباشرة فى الوضع الراهن »(٤)

وهناك نوعان من التغير ، تغير مقصود وتغير غير مقصود والتغير غير المقصود ـــ التغير الطبيعى ـــ يحدث تلقائياً أما التغير المقصود فهذا الذى نحاول

---

(١) سعيد اسماعيل على . دراســات فى التربية الإسلامية ، عالم الكتب . القاهرة ١٩٨٢ . ص٢٣٧

(٢) مصطفى الخشاب . علم الاجتماع ومدارسه ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهره ، ١٩٦٥ ص

'. F. Ogburn, Social Change, Longman Co., N. Y. 1976 P. 19.

L. Lippitt, Visualizing, Change, University Associates Inc.,La Jolla, CA., 1973. P. 37.

إيجاده فى الظروف الراهنة ويمكن أن نطلق عليه التغيير الاجتماعى للدلالة على أنه عملية تغيير تحدث عن طريق التخطيط من أجل تغيير الوضع الراهن ، ولقد ميز ليبيت LIPPITT [1] بين نوعين من التغير الاجتماعى الأول التغير الاجتماعى التطورى الذى يحدث دون تدخل ودون توجيه صريح والثانى التغير الاجتماعى الذى يحدث عندما يغير الأفراد والجماعات والمنظمات أنفسهم أو غيرهم من خلال فعل واع وقرارات لتحويل الوضع الراهن .

وإذا كان التغير المخطط المقصود هو جهد صريح له هدف واضح محدد من جانب وسيلة التغيير لكى يعدل من تركيب أو هيكل أو عملية نظام أو نسق اجتماعى فإن التغير غير المخطط يحدث أيضاً نتيجة تفاعل بين قوى النسق الاجتماعى ، « إنه تغير يحدث بدون تدخل ظاهرى وبدون هدف منسق محدد من قبل أولئك المشتملين فى عملية التغيير » [٢]

ويعتبر التغير الثقافى إلى حد ما أحد الأمثلة لهذا التغير غير المخطط حيث ينتج التغير نتيجة تبادل الأفكار والاتصال الثقافى وكذلك انتشار وانتقال التقنيات الحديثة . وهذه العملية تبدو غير مخططة فهى تحدث وقد يكون ذلك غير مقصود فليست هناك وسيلة لتخطيط هذا النمط من التغير من خلال أهداف محددة مسبقاً والتى يمكن تحقيقها .

ولقد عرف روجرز Rogers التغير الاجتماعى كعملية يحدث بواسطتها تبديل فى تركيب ووظيفة النظام الاجتماعى [٣] أما زالتمان ودنكان Zaltman and Duncan فيعرفان التغير الاجتماعى على مستوى الفرد وعلى مستوى النظام على أنه عملية تبديل فى الطريقة التى يسلك بها فرد أو مجموعة أفراد كنتيجة لهذا التبديل فى تعريفهم للموقف .

---

(١) Tbid. P. 38.

(٢) Warren Bennis, Changing Organizations. Mcgrow Hill CO., New york, 1966. P. 84.

(٣) Everett Rogers, Communication Strategies For Family PLaming. The Free, Press, New Yovk, 1973. P. 7..

إن الشخص يغير سلوكه عندما يحدد الموقف بطريقة مختلفة ومن ثم يتطلب هذا الموقف سلوكاً مختلفاً ... إن إعادة تعريف كيف يؤدى فرد دوره يمكن أن يحدث عند مستويين . قد يغير الفرد قيمه أو معتقداته ويكون من نتيجة هذا تعريف جديد لكيفية الاستجابة لموقف معين ... أو قد يحدث إعادة التعريف كاستجابه لضغط عند مستوى النظام أو مستوى البيئة الاجتماعية أو من قبل بعض الأفراد الآخرين . (١)

وبوجه عام فإن التغير الاجتماعى هو أحد العمليات الاجتماعية التى تحول البناء الاجتماعى للمجتمع فى أوجه الحياة واتجاهات وسلوك أفراده وهو يعتبر على النقيض من تلك العمليات التى تسعى للحفاظ على النظم والقيم مثل التنشئة الاجتماعية والضبط الاجتماعى فالتغير الاجتماعى يعنى أساساً التبديل فى كل أو بعض أجزاء البناء الاجتماعى . ويجب أن تعرف أن التغير الاجتماعى المخطط يشمل عملية مواجهة مع النظم السائدة وقد تمتد تلك المواجهة لتشمل مجالات متعددة تتعلق بالقيم والاتجاهات والمعرفة والمهارات وأن تلك المجالات كلها أو بعضها مطلوبة فى أى تغير مخطط يكون ذا مغزى ويكتب له الاستمرار . ويتناول ليبت Lippitt هذه الميادين فيذكر :

١ ــ **ميدان التغير المعرفى** : تعميم خبرة التغير ، الفهم الواعى للتخطيط ومفاهيمه .

٢ ــ **ميدان التغير المهارى** : دمج طرق جديدة للأداء من خلال التدريب للسلوك المتغير .

٣ ــ **ميدان تغيير الاتجاهات** : تبنى مشاعر جديدة من خلال ممارسة النجاح معها .

٤ ــ **ميدان تغير القيم** : إعادة تنظيم المعتقدات أن تبنى قيم ومعتقدات جديدة . (٢)

---

(١) Gerald ZALTman and Robert Duncan, STrategies For PLamed Change. John Wiley and SONS, New yovk. 1977. p. q.

(٢) G. L. Lippitt. OP. cit. P. 55.

ويوجد بعض العناصر التى ينبغى أن تؤخذ فى الاعتبار فى أى جهد للتغيير المخطط وهذه تعتبر عوامل تعمل على نجاح هذا الجهد وجعله يحمل مقومات حدوثه ومنها :

١ ــ **الدعم أو التأييد الذى يتلقاه جهد التغيير** : ففى أى موقف لابد أن يكون هناك شعور بالحاجة إلى التغيير من قبل بعض الأفراد والجماعات تلك الجماعات التى تؤيد التغيير وتناضل من أجل ضمان حدوثه .

٢ ــ **الوقت** : إن الوقت دائماً عامل أساسى فى أى جهد للتغيير المخطط فالتغيير لايمكن أن يحدث بسرعة فهو يحتاج دائماً إلى وقت . إن الحقيقة التى تقول إن التغير لايأتى بسرعة تعتبر عاملاً أساسياً لفهم التغير المخطط وطبيعته .

٣ ــ **المشاركة** : إن التعاون والمشاركة بين مجموعة من الجماعات والأفراد فى نظام ماتعتبر أساسية وذلك لضمان استمرار التغيير ونجاحه وعدم معارضته ويعتبر هذا الدعم عاملاً أساسياً ، كما قيل من قبل ، لضمان حدوث التغيير وتحقيق أهدافه .

٤ ــ**التنسيق والتكامل** : إن العلاقة المتبادلة بين برامج التغيير والجوانب الأخرى لسلوك النظام تعتبر ضرورية والتنسيق بين الجهود والبرامج المختلفة أساس .

إن جهود التغير الفردية لايمكنها البقاء منفرده أو العمل منعزلة فأى مجهود يجب أن يتكامل مع الجهودات الأخرى وأن يُضمنَّ ويتشابك وينسجم مع الأنشطة الأخرى فى النظام .

٥ ــ **التوازن بين العقلانية والانفعالية أو العاطفية :**

إن التغير يشمل المزج بين العقلانية والعاطفية للوصول إلى هدف التغير وإذا كانت العقلانية فى تناول الأمور مهمة كطريقة وكهدف إلا أن الأفراد يحتاجون إلى أن يكونوا منغمسين بكل وجودهم ومشاعرهم وقيمهم وعواطفهم فى أى جهد للتغيير حتى يكون التغيير مدعماً ومقبولاً ومحتملاً ومستمراً فى الإتجاه السليم .

وتتنوع الآراء والمذاهب فى تفسير حركة التغير الاجتماعى وفى فهمه منذ فجر التاريخ ومحاولة توجيه هذا التغير بحيث نجد اختلافاً كبيراً بين تلك الآراء والمذاهب ، ولن نخوض فى المفاهيم المختلفة للتغير الاجتماعى عبر العصور متناولين ماذكره هرقليس وأفلاطون وأرسطو وداردين وهيجل وماركس وديوى فكل هذه الآراء والمذاهب ووجهات النظر قد تناولتها كثير من الدارسات وكلها قاصرة فى تفسير هذه الظاهرة حيث تركز على بعض الجوانب دون الجوانب الأخرى وبحيث يتناول كل صاحب رأى أو مذهب الموضوع من ناحية معينة ، وسيكون التركيز على تناول الإسلام لهذه الظاهرة ، « ولقد كان الإسلام حكيماً منذ البداية عندما نظر إلى أحداث الحياة الإنسانية نظرة شاملة ولم يحصر حركتها وتطورها فى عامل واحد بل عزاها إلى عوامل عدة تنتج من قوانين الحياة المادية متفاعلة مع العوامل الكامنة فى أعماق النفس الإنسانية » . (١)

وللإسلام مخطط واضح وتفسير شامل يضبط هذه الظاهرة ويفسرها ويضع القوانين ويضع لها المنهج ويحدد لها الأهداف فيعترف أولاً بالتغير الاجتماعى كحقيقة حيث يقول الله تعالى فى كتابه العزيز : ﴿ إنَّ الله لايُغَيِّرُ مابقومٍ حتى يُغَيِّرُوا ما بأنفُسِهِم » ، (الرعد ــ ١١) ﴿ ولولا دَفعُ الله الناسَ بعضَهُمْ ببعضٍ لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين ﴾ ، (البقرة ــ ٢٥١)
﴿ إن يَمْسسْكُم قرحٌ فقد مسَ القومَ قرحٌ مثلهُ وتلكَ الأيامُ نداولها بين الناس ..﴾ ، (آل عمران ــ ١٤٠)
وإلى جانب ذلك يضع للتغير قوانين ويؤكد أن التغير ظاهرة تتناول المجتمعات وتتعلق بالأنفس فالمجتمعات تتقدم وتنهض وتتخلف وليس هناك تقدم مستمراً أو تخلف مستمر إذا أخذت تلك المجتمعات بالأسباب ﴿ وتلك الأيامُ نداولها بين الناس ..﴾ ، (آل عمران ــ ١٤٠) .

* * * * *

---

(١) محسن عبد الحميد . منهج التغيير الاجتماعى فى الإسلام ، مؤسسة الرسالة ، بيروت . ١٩٨٣ ص٤

عوامل التغير الاجتماعى

يتطلب التغير الاجتماعى عدة عوامل أساسية تساعد على حدوث عملية التغير ولابد هنا من التأكيد على أن التغير الاجتماعى لايمكن إرجاعه إلى عامل واحد فقط ولكن يمكن القول بأنه يحدث نتيجة لعدة عوامل قد يكون أحد هذه العوامل له الهيمنة على العوامل الأخرى ، وتختلف تلك العوامل باختلاف الظروف والمجتمعات ولقد تحدث كثير من علماء الاجتماع والتاريخ والتربية عن عوامل التغير الاجتماعى وعددوا الكثير منها وقسمها بعضهم إلى عوامل داخلية تنبع من داخل المجتمع وعوامل خارجية نابعة من تأثيرات أخرى ومن ظروف خارجة عن المجتمع وهذه العوامل تشكل جانباً هاماً فى عملية التغير الاجتماعى ومن هذه العوامل :

١ ــ **البيئة** : يعتبر مفهوم البيئة مفهوماً واسعاً متعدد الجوانب فهناك البيئة الطبيعية والبيئة الاجتماعية والبيئة الأسرية ، والبيئة هى كل مايؤثر على الإنسان منذ خروجه من بيئة الرحم المحدودة ولاشك أن وجود بعض الموارد الطبيعية فى مجتمع مايؤثر على علمية التغير ويعتبر عاملاً هاماً من عوامل التغير الاجتماعى ، فاستغلال الإنسان لبيئته الطبيعية واستغلاله لقدراته وطاقاته فى تسخير تلك البيئة وتوجيهها نسبياً لصالح التغيير يترتب عليه تغير فى البيئة يتبعه تغير فى الطرق التى تتبع فى التكيف معها والملاءمة بينها وبين أساليب الحياة للأفراد والجماعات وتغير فى أنماط معيشتهم وعلاقاتهم وفيما يستخدمونه فى حياتهم من وسائل وأدوات وتلعب العوامل المادية والتى منها المناخ والموارد والزلازل دوراً هاماً فى إحداث التغيير فى الحدود التى تسمح بها الظروف البيئية الطبيعية ويمكن القول بأن مايحيط بالمجتمع من ظروف طبيعية كالمناخ والموقع الجغرافى أو الثروات يمكن أن يكون لها تأثير كبير فى إحداث التغير الاجتماعى ولعل أوضح مثال هو مانراه فى مجتمعات دول الخليج العربى حيث يتفجر البترول من باطن الأرض حدث تغير اجتماعى ملحوظ ولكن ينبغى القول بأن هذا أحد العوامل الذى يتعلق بعوامل أخرى تعد أساسية « فتأثير الطبيعة لم يعد دائماً تأثيراً حتميا .. ولايكون إلا إذا تدخلت قدرة

الإنسان وطاقته الكبيره فى تسخير الطبيعة وتوجيهها » . [1]

٢ ـــ **السكان** تعتبر القوى البشرية العنصر الأساسى الفعال وراء كل تغيير وهى المحركة له والمدعمة لجوانبه المختلفة ويتعلق بذلك توزيع السكان ومعدلات زيادتهم وتقاليدهم ومعاييرهم وقيمهم الخلقية وعقيدتهم وتماسكهم وتعليمهم . فكل هذه العوامل لها أثر كبير فى إحداث التغير الاجتماعى ويوجد ارتباط واضح بين وضع السكان العددى والنوعى وبين توزيعهم وبين عملية التغير الاجتماعى . ويرتبط أيضاً بذلك نسبة الوفيات ونسبة المواليد ، ونسبة المنتجين من أفراد المجتمع إلى نسبة المستهلكين ويتعلق بذلك عامل الهجرة حيث أن هجرة الأيدى العاملة والخبرة من مجال الإنتاج من مجتمع إلى مجتمع آخر يعتبر عاملاً أساسياً من عوامل التغير الاجتماعى فى المجتمع المصدر والمجتمع الذى يجذب تلك القوى العاملة ، ومن أمثلة ذلك التغير الاجتماعى الذى صاحب هجرة القوى العاملة من مصر إلى بعض الأقطار العربية الأخرى حيث نتج عن هذا تغير اجتماعى فى جوانب عديدة فى المجتمع المصرى وفى المجتمعات العربية الأخرى . وهجرة الأوربيين إلى أمريكا الشمالية قد غيرت بلاشك من المجتمع الأمريكى .

وخير مثال على ذلك هو هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة تلك الهجرة التى غيرت وجه التاريخ وامتد أثرها إلى الامبراطوريات المجاوره ولاشك أن عامل الهجرة يتعلق بالأفراد أو بالقوى المحركة للتغيير ونوعيتها ومن هنا كان التركيز على الإنسان بجوانبه المختلفة .

٣ ـــ **العلم والتقدم التقنى** للعلم واستخداماته التطبيقية علاقة مباشرة بعملية التغير الاجتماعى فالاختراعات تعد من أهم عوامل التغير فالمجتمعات الإنسانية تتغير إذا ماظهرت اكتشافات أو حدثت مخترعات ، ويعتبر العامل التقنى أحد العوامل التى تستحث التغيير فى الجانب المادى من ثقافة المجتمع إذ بتغير المخترعات والآلات ونمط استعمالها تتغير مظاهر المجتمع من عادات وتقاليد مما قد يكون له أثره على العلاقات الاجتماعية وعلى السياسة بوجه عام . وتقدم العلوم يؤدى إلى

(١) المرجـع السـابق . ص١٣ ، ١٤ .

استكشافات جديدة ممايترتب عليه آثار متنوعة فى النواحى الاجتماعية والاقتصادية بل وفى البناء الاجتماعى كله والعلم يعتبر اتجاها عقلياً عاماً والأخذ به وبأسبابه ضرورة لأى تغيير مخطط ، « فالاختراعات والاكتشافات العلمية لها أثرها الكبير على التغير الاجتماعى وكذا تقدم وسائل النقل ووسائل الإعلام واستخدام العقل الالكترونى وغزو الفضاء ووصول الإنسان إلى القمر كل هذا وغيره له أثره على أساليب التفكير والعلاقات الاجتماعية وتنظيم المجتمع وتغير السلوك البشرى »[1].

والتغيرات المادية تتبعها تغيرات اجتماعية كبيرة فعناصر الثقافة نوعان ، عناصر مادية وعناصر غير مادية والتغير يحدث فى كليهما ولكنه كثيراً مايحدث فى العناصر المادية أولاً ويكون على العناصر غير المادية أن تتكيف تبعاً لذلك إلى جانب أن التغير فى العناصر المادية يتبعه تغيير فى شكل الحياة وتعقيد الحياة الاجتماعية وظهور طبقات جديدة وخدمات وقد يؤدى إلى تغير كثير من القيم والعلاقات بظهور قيم جديدة .

٤ ــ **الاتصال الثقافى** تعتبر سهولة اتصال المجتمع بغيره من المجتمعات ، نتيجة للتقدم فى وسائل الاتصال الفكرية المختلفة من صحافة وإذاعة وتلفاز ، من العوامل التى تؤثر على سرعة التغير الاجتماعى لأثرها الواضح فى نقل الأفكار واحتكاك الثقافات وتبادل الأفكار بين الأفراد . فالاحتكاك والاتصال يترتب عليه تغير فى أساليب الحياة وتغير فى الاتجاهات وتنمية لبعض العادات وتغير فيما يرمى إليه الإنسان من أهداف وارتفاع فى مستوى طموحات الأفراد ، وتغير فى النمو العقلى وفى طريقة التفكير مما لايمكن أن يغفل أثره وخاصة فى المجتمعات الحديثة التى تتميز بالتقدم السريع فى وسائل الاتصال .

٥ ــ العامل السياسى وظهور الشخصيات القيادية القوية .

يلعب العامل السياسى دورا هاما فى التغير الاجتماعى لأن العملية هنا تتعلق

(١) حامد عبد السلام زهران . مرجع سابق . ص٢٤٨ .

بالسلطة السياسية العليا وماها من تأثير وذلك عن طريق التخطيط المباشر لإحداث التغيير المطلوب ويتعلق الأمر كذلك بما تملكه السلطة السياسية من موارد مادية وبشرية وما تملكه من معلومات يؤهلها للسيطرة على عملية التغيير ودفعها .

وظهور بعض الشخصيات القيادية القوية سواء كان فى ميدان السياسة أو فى أى ميدان من ميادين الحياة المختلفة يؤثر فى المجتمع وربما فى مجتمعات أخرى مجاورة « وهؤلاء القادة هم الأفراد الذين يؤثرون فى قبول أو رفض الأفكار الجديدة وهم الذين يلجأ إليهم الآخرون طالبين النصيحة وقد تكون القيادة فى صورة فرد أو أفراد أو جماعات » . (١)

والقادة هم مجموعة خاصة من الأفراد يكون لها تأثيرات عديدة على اتجاهات الأفراد والآخرين ويمكنهم تسهيل عملية التغيير أو عرقلتها إذا ما كانت غير ملائمة لأفكارهم وسلوك القائد فى مجموعة يمكن أن يتدرج من الضبط والتحكم فى عملية اتخاذ القرار إلى التحكم الكامل فى كل شئون المجموعة ويعتبر ليبت Lippitt أن « القيادة الملائمة فى القمة تعد عنصرا أساسيا فى تنمية وتنفيذ أى برنامج للتغيير » (٢)

والمشكلة فى برامج التغيير أن الأفكار فيها لاتعنى الفعل ولكن السلطة والقيادة هى التى تجعل من هذه الأفكار واقعا قابلا للتنفيذ .

وتعتبرالقيادة متطلبا أساسيا وظاهرا للتغير والعلاقة المميزة للقائد الفعال تتمثل فى قدرته ورد فعله ليس فقط فى حالة المواجهة مع مقاومة للتغير قوية وغير متوقعة فى برنامج للتغير ولكن عليه أن يكون رد فعله بناءً عندما يواجه موقفا غاية فى الاستفزاز ويجب أن يكون راغبا فى التعبير عن أفكاره فى مواجهة الخلافات والصراعات وأن يكون قادرا وراغبا فى الدفاع عنها عند الهجوم .

---

(١) Jock Rothman, PLaning 8 Organizing For Social Change, Columbia university Precss New york. 1974. P. 345 452

(٢) G. L. Lippitt, OP.. cit. P. 326

ولاشك أن وجود قائد يحمل أفكارا للإصلاح يكون له أثره الواضح فى توجيه مجتمعه إلى بلوغ الأهداف التى وضعها مع بعض الأفراد وإصلاح بعض العيوب القائمة والعمل على حل المشكلات والمحافظة على ماهو جيد فى الوضع الراهن ، « فانتشار أفكار القائد أو المصلح وآرائه بين جماعة صغيرة تقتنع بها وتعمل على نشرها فتكسب أنصارا ثم يحدث تأثير له ولأنصاره فى أفكار الناس وآرائهم فيحدث التغيير » .(١)

وهكذا فللرجال العظام دور كبير فى إحداث التغيير فى مجتمعاتهم وربما فى مجتمعات أخرى ، « هذا وتعتبر العبقرية من أقدم النظريات التى تناولت موضوع التغير كحتمية إذ ينادى أصحاب هذه النظرية بأن التغير ماهو إلا نتيجة عبقرية بعض الرجال الأفذاذ وتقوم هذه النظرية على أساس مفهوم القيادة والمجتمع وبمقتضاها يتغير المجتمع نتيجة لأفكار هؤلاء العظماء الذين يدفعون غيرهم بقوة شخصياتهم وخلقهم » .(٢)

٦ ـــ العامل الأيديولوجى .

ويقصد به التغيرات التى تحدث فى أيديولوجية الجماعة معتقداتها مذهبها الفكرى فلسفتها وأخلاقياتها وقيمها فكل جديد فى هذا الجانب يتحدى واقع الجماعة وكل تغيير فى الأصول الفكرية والمذهبية يؤدى إلى تغيير بعيد الأثر فى النظم والأوضاع وتمثل الأيديولوجية الجانب الفكرى والعقائدى للثقافة وهى من المصطلحات الجديدة المستحدثة « والأيديولوجية نفسها لاتخلق الحركات الاجتماعية ولكنها تؤدى وظيفة الإثارة وتساندها وتبعث الفوضى فى النظام القائم لتخلخل البقاء الاجتماعى وتجعل الأفرادغير واثقين وغير قابلين للأحداث التى تجرى حولهم فيعملون على تغييرها » .(٣)

وهناك كثير من الأفكار التى تلعب دورا هاما فى إحداث التغيير والتى تتعلق

---

(١) عبد اللطيف فؤاد إبراهيم . مرجع سابق . ص٩٨ .

(٢) محمد الهادى عفيفى . التربية والتغيرالثقافى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٥ ص٣٧ ، ٣٨ .

(٣) صموئيل باسـيليوس . علم الاجتماع التربوى ، جامعة القاهرة فرع الخرطوم ، الخرطوم ١٩٦٩، ص١١ .

بالحرية والإنسان وحقه فى الحياة والديمقراطية وهذة بانتشارها تلاق قبولا ويكون لها الأثر فى إحداث التغير الاجتماعى .

٧ ـ العامل الدينى .

للدين أثر كبير فى توجيه الإنسان وتهيئة طاقاته لمواجهة تغيرات الحياة والتقدم نحو المثل العليا والكمال الخلقى وبما يزود به الأفرادمن معتقدات يكون لها أكبر الأثر فى تغيير أفكارهم ومفاهيمهم وحثهم على التغيروبما يقدمه من نظام تربوى يغير الأفراد فتتغير بهم المجتمعات وقدلعبت التربية الإسلاميةدوراً بارزاًفى تغيير المجتمع فى صدر الإسلام ولم يكن للجانب المادى أثر كبير ويعنى هذا شمول الجانب الدينى للعناصر والعوامل التى تحدث التغيير ويعنى أيضا أهمية الجانب العقائدى كباعث أساسي فى عملية التغييـر .

وليس هناك عامل واحد فقط من الممكن أن يكون باعثاً للتغيير، إلا أن الدين بنظرته الشاملة التى يتناول بها الإنسان والمجتمع والأمة من الممكن أن يتضمن كل العوامل الأخرى التى تحدث التغيير .

فالعناصر الأخرى ضرورية ولابد من توفرها وهذه العناصر قد تكون سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو تربوية تلك العناصر تهيىء المناخ الملائم لعملية التغيير مع توفرالقيادة التى تتحمل وتجاهد وتنسق وتنظم هذا التغيير ، تلك القيادة التى يكون لديها الفكر لإحداث عملية التغيير ، ولاشك أن فاعلية القيادة وأهميتها والعوامل الأساسية الأخرى قد تناولها الدين الإسلامى ووضعها فى منهج واضح شامل وستتناول الدراسة ذلك بالتفصيل من خلال دور التربية الإسلامية فى تغيير النفس الإنسانية والمجتمع ..

وهناك العديد من العوامل الأخرى التى تكون ذات أهمية فى عملية التغير مثل الحروب والكوارث ونمو الوعى والثورات وهذه مرتبطة إلى حد كبير بالعوامل السابقة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ومما لاشك فيه أن العامل التربوى قد يكون أهم العوامل بوجه عام وستركز الدراسة بإذن الله على هذا العامل لما له من أهمية فى كل المراحل التى يمكن أن تتضمنها عملية التغيير الاجتماعى والتركيز هنا سيكون على العوامل التى تتعلق بالنفس الإنسانية كأساس لأى تغير اجتماعى .

★ ★ ★ ★ ★

الإسلام والتغير الاجتماعى

بداية لابد أن نعرف أن الإسلام ليس دينا يقتصر على جوانب من العقيدة المعينة والعبادة الخاصة ومبادىء من الأخلاق المحدودة ، بل هو دين شامل يشتمل إلى جانب تلك الجوانب على التنظيم الاجتماعى والمنهج التربوى الخاص به ، ويشتمل أيضا على التنظيمات الاقتصادية والسياسية والقضائية وينفرد بنظرة شاملة متكاملة لمفهوم التغير والسنن والقوانين التى تحكمه ومن خصائص الإسلام أنه يبدأ بناء الفرد أولاً بناءً متكاملاً عن طريق التربية والتعلم حتى تكون اللبنات التى يتكون منها البناء الاجتماعى على أسس سليمة ليس فيها خلل أو تناقض ثم بعد ذلك يضع الأسس لهذا البناء الاجتماعى حتى لايصاب هذا المجتمع من حين لآخر بالتفكك والانحلال بل يبقى دائما قوى البنيان طالما أن لبناته الأولى استمرت قوية .

ولهذا فإن أساس أى تغيير يرجى له النجاح والاستمرار هو ذلك التغيير الذى يتعلق بالفرد أو الذى يجعل من الفرد الأساس لهذا التغيير .

وظاهرة التغير كظاهرة اجتماعية هامة وكغيرها من الظواهر تناولها القرآن الكريم بوضوح من حيث هى قانون اجتماعى مبنى على الصراع حيث قال تعالى : ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين ﴾ (البقرة — ٢٥١) وقال أيضا ﴿ إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس .. ﴾ (آل عمران — ١٤٠) .

ومداولة الأيام بين الناس تحمل بين طياتها مفهوم التغير ولايمكن أن تأتى إلا نتيجة له والذى لابد أن يحدث بسبب العوامل التى تسهم فى إحداثه ﴿سنةَ الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ﴾ (الفتح — ٢٣) .

فحتمية التغير فى الإسلام حقيقة معترف بها وإذا ما سلمنا بهذه الظاهرة فإنه يجب أن نعترف بأنها تخضع لقوانين وبالتالى إذا فهمنا القوانين فإنه من الممكن أن نسخر الظاهرة ونسيطر عليها ونستثمرها الاستثمار الأمثل .

ويتناول محسن عبد الحميد هذا المفهوم من وجهة نظر الإسلام بقوله « إن الاختلاف هو القانون لا الوحدة والتغير هو القانون لا الثبات والتغير ليس أمراً عرضياً طارئا إنما هو صفة الوجود والحياة حتى فى عالم الجماد لايبقى شىء على حاله » (١) .

وتكمن نظرة الإسلام إلى التغير فى تلك العلاقة السببية بين تغيير الأنفس وتغيير المجتمع وأن تغيير المجتمع رهن بتغيير الأنفس وهذا التغيير لايمكن أن يتم إلا بالتربية والتعليم فبدون التربية لن تتغير الأنفس التى هى مقدمة منطقية لتغيير المجتمع كما جاء فى الآية الكريمة قال تعالى : ﴿ إن الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ (الرعد ــ ١١) .

وقال أيضـا : ﴿ ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم ﴾ (الأنفال ــ ٥٣) .

وعدم إدراك تلك العلاقة يجعل البعض يتطلع إلى التغيير دون أن يخطر ببالهم أن تغيير المجتمع رهن بتغيير الأنفس ويجعل البعض يتمنى التغيير اعتقادا منه أن هذا التغيير سيأتى دون أن يقدم الأسباب والسماء لاتمطر ذهبا ولافضة كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

وتتجلى نظرة الإسلام إلى التغير واعترافه بتلك الظاهرة وتناولها بوضوح فى كل الأمور حتى فى أحكام الشريعة نفسها فنجد أن منها ماهو ثابت ، وماهو متغير فيقول محمد نبيل غنايم أن أحكام الشريعة نوعان

أ ــ ثابتة لاتتغير بتغير الزمان والمكان واختلاف الأئمة كوجوب الفرائض وتحريم المحرمات والحدود المقررة شرعا والميراث ....

ب ــ متغيرة بحسب اقتضاء المصلحة لذلك زماناً أو مكاناً أو حالاً ... وأكثر أحكام الشريعة ورد بصيغة مجملة ليدور الحكم فيه مع المصلحة وجوداً وعدما (٢) .

---

(١) محسن عبد الحميد . مرجـع سابق ، ص١٨ .

(٢) محمد نبيـل غنايم « شبهات حول التشـريع الإسلامى » محاضرات الثقافة الإسلامية كلية الشريعة الدراسات العليا مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض ١٤٠٣ ص٢٢ .

ويقول مصطفى الزرقا إن « لهذا الإجمال فى نصوص القرآن مزية هامة بالنسبة إلى أحكام المعاملات المدنية والنظم السياسية والاجتماعية فإنه يساعد على فهم تلك النصوص المجملة وتطبيقها بصورة مختلفة يحتملها اللفظ فيكون باتساعه قابلا لمجاراة المصالح الزمنية وتنزيل حكمه على مقتضياتها مما لا يخرج عن أسس الشريعة ومقاصدها) .(١)

وبالرغم من أن الإسلام ينظر إلى التغير كحقيقة ويضع له القوانين التى ستتناولهاالدراسة إلا أن الكثيرين فى لحظات من الحماس لايدركون تلك القوانين ناسين أن تحقيق التغيير فى المجتمع رهن بتغيير الأنفس وأن تغيير الأنفس الذى هو شرط لتغيير المجتمع يتطلب تربية ومنهجا تربويا ووقت طويل وصبر ومثابرة وعدم الأخذ بأسباب تغيير الأنفس وعدم اتباع المنهج التربوى لتغييرها كشرط مسبق لتغيير المجتمع وهو الذى يعطى حق البقاء لهذا الواقع الذى يراد تغييره فبدون التربية لن يتغير مافى الأنفس وبدون تلك المقدمة المنطقية والقانون السماوى لن يتغير مافى المجتمع .

إن هناك جوانب فى حياة الإنسان تخضع للتغيير ولما كان شأنها كذلك فإن الإسلام وضع لها قواعد وأسس كلية ولم يحسم الأمر فيها ومن هنا كان الأخذ بالأسباب والمعرفة بتلك القواعد والأسس والعمل على التغيير والتقدم وإذا ما سلمنا أن هناك مشكلة يمكن أن تطلق عليها مشكلة التغيير الذى هو حقيقة واقعة يكون الدور الأساسى والهام هو ما يتعلق بالأسس العامة والقواعد والقوانين التى تحكم التغير وماهى العوامل التى تحدثه وهل من الممكن معرفة تلك القوانين وأن نتدبرها ونبنى دور التربية بميادينها المختلفة فى إحداث التغيير وتناول الفردلمشكلة معينة أو ظاهرة محددة بعد إحساسه بها يتبعه العمل على تناول تلك المشكلة أو الظاهرة شريطة أن يكون هذا العمل وفق القوانين التى تخضع لها الظاهرة .

---

(١) مصطفى الزرقا . وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية ، إدارة الثقافة والنشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض ١٤٠٤ / ١٩٨٤ (٢٢٣ — ٢٢٤) .

إن الإنسان فى أى مجتمع من المجتمعات غالبا مايواجه المشاكل الكثيرة وفى تناوله لتلك المشاكل يقف منها .موقفا معينا وكما يقول جودت سعيد :

« إن العقل يمكن أن يأخذ أحد موقفين إزاء المشاكل إما أن يفرض فيها أنها تخضع لقوانين وبالتالى يمكن أن يخضع المشكلة للسيطرة عليها وتسخيرها وإما أن يفرض فيها أنها لاتخضع لقوانين ولايمكن كشف قوانينها وبين هذين الموقفين مواقف متعددة يتفاوت فيها القرب من أحدهما والبعد من الآخر ... إن الذين لايرون للمشكلة قوانين أو يفرضون لها تفاسير خاطئة لايمكن أن يصلوا إلى نتائج فعدم اعترافهم بالقانون لاينفى القانون وإنما يمنعهم من السيطرة عليه وتسخيره ويجعل منهم أداة يلعب بها الآخرون الذين علموا القوانين الصحيحة . [(١)]

ويبدأ النشاط المنتج فى مواجهة المشكلات بالتفكير ولقد فضل الله الإنسان بالجهاز الذى يفكر به وهو الدماغ وهو مركز التفكير الذى يضطلع ويهمين على كل النشاطات العقلية التى تسير أمور الإنسان وتتحكم فى تصرفاته ولقد حث الإسلام على التفكير والتفكر والتدبر ودعا إلى استعمال العقل والتفكر والتبصر والتخطيط لأعمالنا ويضيق المقام لذكر الآيات الكثيرة التى وردت فى القرآن المجيد والتى تتحدث عن العقل والتفكير فى آيات الله وما ورد لنا من عبر وحكم ليعلمنا ويهدينا من خلالها .

قال تعالى ﴿ إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون ﴾ (البقرة ـــ ١٦٤)

---

(١)، جودت سعيد . حتى يغيروا ما بأنفسهم ، المؤلف ، دمشق . ١٩٧٢ ، ص ١٦ ـــ ١٨ .

والمجتمع والبناء الاجتماعى والتغيرالاجتماعى يخضع لقوانين لكى يحدث التغير وهذه القوانين يمكن كشفها وتسخيرها لكى يتحقق التغير الذى ينشده أى مجتمع والإنسان الذى يواجه بمشكلة ويعتقد بإمكانية حلها وفق قوانيها هو إنسان يؤمن بالتغيير الذى هو عبارة عن حالة لايرضى عنها إلى حالة مرغوب فيها فما هى القوانين(1) التى نخرج منها من الآية الكريمة من قوله تعالى : ﴿ إن الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ (الرعد — ١١) .

١ — التغير سنة عامة للبشر كافة

سنة تنطبق على كل البشر وليست خاصة بالمسلمين كما يعتقد البعض ولابغيرهم إنما هى عامة بدليل ما جاء فى الآية الكريمة فكلمة قوم لم تأتِ مخصصة بقوم معينين وإنما هى لكل قوم ومجيئها نكرة فى هذه الآية يدل على ذلك فهى سنة تنطبق على الناس كافة قبائل وشعوبا وأجناسا وأديانا هذه القاعدة يخضع لها كل الأقوام إذا أخذوا بأسباب التغير فسيتغيرون وليست حكرا على المسلمين فهى مشكلة الإنسان فى أى زمان ومكان لهذا كان من الضرورى معرفة سنن تغيير الأنفس لأن التغيير يكتب فى عقول الرجال ولأن الفردهو محرك الأحداث وأن أهم عناصر قوى التغيير هو الفرد المتمتع بالشخصية المستقلة الواعية المفكرة وهذا لايكون إلا بالتربية .

٢ — التغير لايحدث إلا فى جماعة

التغير سنة مجتمع لاسنة فرد فبالرغم من أن تغيير الأنفس أساس لتغيير المجتمع إلا أن التغير سنة اجتماعية لاسنة فردية وقد جاء فى الآية الكريمة مايفيدذلك الجمع أو الجماعة (مابقوم) فلم تقصد فردا معينا وإنما الحديث عن قوم ، عن مجتمع له خصائصه وبكل عناصره ثم جاءت كلمة « مابأنفسهم » لتشير إلى الجمع مرة أخرى ومن هنا يمكن القول بأن الفردية ليس لها حظ من التغيير وخصوصا تغيير

---

(1) اعتمد الباحث فى هذا الجزء الخاص بالقوانين على كتاب الأستاذ جودت سعيد « حتى يغيروا ما بأنفسهم » على شىء من التصرف وقد تناول الأستاذ جودت ذلك فى صورة سنن التغير فى القرآن . (مرجع سابق) .

المجتمع وقديتغير الفرد ولكن فى هذه الحالة لايشترط أن يتغير المجتمع طبقا لذلك وهنا تتدخل مفاهيم أخرى تتعلق بالوعى بقضايا المجتمع ومشكلاته وكيفية مجابهتها بما لدى الأفراد من إمكانات وقوى أودعها الله فى نفوس أفراد ذلك المجتمع فالتغير الذى يحدث بالمجتمع يقوم على أساس العمل الجماعى وليس على اساس المجهودات الفردية غير المنسقة والتى أحيانا ما تكون متضاربة لاتؤدى الغرض المطلوب .

٣ ـ التغير سنة دنيوية لاسنة أخروية

الإسلام دين ودنيا ولكن التغيير المراد فى الآية الكريمة هوذلك الذى يحدث فى الدنيا وعلى هذا فقد كانت المحاسبة فى الدنيا جماعية أما محاسبة الآخرة ففردية ولهذا فإن المسئولية الاجتماعية تتعلق بمؤاخذة المجتمع كله إذا لم يتبع سنن التغيير وتدل الآيات الكريمة على ذلك فبالنسبة للمسئولية الفردية .

قال تعالى : ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ﴾ (النجم ٣٩ ــ ٤٠) .

وقال : ﴿ ونرثه ما يقول ويأتينا فردا ﴾ (مريم ــ ٨٠) .

أما بالنسبة للمسئولية الاجتماعية فقال تعالى : ﴿ واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب ﴾ (الأنفال ــ ٢٥) .

وقد سأل صحابى رسول الله ﷺ أنهلك وفينا الصالحون قال نعم إذا كثر الخبث ،[١] وهذا يوضح أن محاسبة المجتمع فى الدنيا جماعية إذا ماخالف سنن التغيير .

٤ ـ فى الآية تغييران تغيير الله وتغيير القوم وفى الآية أيضاً ترتيب أن تغيير الله للقوم لايأتى إلا إذا غيروا ما بأنفسهم ، فقد قال تعالى ﴿ ذلك بأن الله لم يك مغيرا

---

(١) رواه البخارى فى الفتن ٩ / ٦٠ ومسلم فى الفتن ٤ / ٢٢٠٧ . وغيرهما .

نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم ﴾ ، (الأنفال ـــ ٥٣) .

وهذا له دلالة هامة لأن الإنسان كثيرا ما يغيب عنه ما يخصه من التغيير وهذا يجعله سلبيا غيرإيجابى فى انتظار السماء فيلجأ إلى الخنوع والخضوع والتواكل والسماء لاتمطر ذهبا ولافضة كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه إن هناك تكليف ومسئولية والتغيير الذى يحدث أولاً يتعلق بالقوم وواجبهم ومسئولياتهم وأن الإنسان له الحرية فى الحركة بإرادته والنشاط الفعال المفكر فى إطار ما خلق الله له من قوانين ومامنحه من قدرات واستعدادات . يقول جودت سعيد :

> والرجاء بأن يحدث الله التغيير الذى يخصه قبل أن يقوم القوم (المجتمع) بالتغيير الذى خصهم الله به يكون هذا النظر مخالفا لنص الآية وبالتالى إبطالا لمكانة الإنسان وأمانته ومسئوليته ولما منحه الله من مقام الخلافة على أرضه لأن هذا التحديد فى مجالات التغيير وهذا الترتيب فيما ينبغى أن يحصل أولاً وما يحدث تالياً هو الذى يضع البشر أمام مسئولية حوادث التاريخ ومن هذه النافذة يمكن إبصار أثر البشر فى أحداث التاريخ ومسئوليتهم إزاءها (١)

وتفسير أحداث التاريخ برؤية الجانب الذى أحدثه الله فقط فى الأقوام السابقة دون إدراك علاقة هذا الجانب الذى يختص بالقوم وبما أحدثه القوم من تغيير فى نفوسهم يعتبر تفسيرا يجانبه الصواب ومخالفا لنص الآية الكريمة وإبطالاً لمسئولية البشر ودعوة إلى السلبية والخنوع وليس إلى الإيجابية والمبادأة وليس معنى هذا إغفالاً لإرادة الخالق فسبحان مسبب الأسباب فبجانب السنن والقوانين التى أودعها الله تعالى فى الوجود والتى تحكم علاقات البشر وظواهره الاجتماعية فإن إرادة كن تتدخل أحياناً فتحدث التغيير الضرورى المطلوب . (٢)

(١) جودت سعيد . مرجع سابق . ص٤٦ .

(٢) محسن عبد الحميد . مرجع سابق ، ص١٨ .

قال تعالى : ﴿ ذلك أن لم يكن ربك مهـلك القـرى بظلـم وأهلهـا غافلـون ﴾ ، (الأنعام ــ ١٣١) .

وقال ﴿ فلما نسوا ماذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ﴾ ، (الأنعام ــ ٤٤ ــ ٤٥) .

وقال ﴿ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً ﴾ ، (الإسراء ــ ١٦) .

وقال ﴿ هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى أمر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون فأصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون ﴾ ، (النحل ــ٣٣ ــ ٣٤) .

إن هناك شروطا أساسية لإحداث التغيير وهى تلك المقدمة التى تختص بالقوم فالتربيةوتغيير الأنفس من خلال ميادين التربية المختلفة ثم المسئولية الاجتماعية والفعل الاجتماعى والعمل والإيجابية هى أحد تلك الشروط لأنها مقدمة أساسية لما يخص الله سبحانه وتعالى ولإرادته وقدرته .

ومجال التغييرين هما تغيير الله وتغيير القوم ومجال التغيير الذى يحدثه الله سبحانه وتعالى هو ما بالقوم أما التغيير الذى أسنده الله تعالى إلى القوم مجاله ما بالأنفس ويشمل التغيير كل شيء مادى وغير مادى وقد يشمل الغنى والفقر والصحة والسقم والعزة والذلة والاستقلالية والتبعية وكل النعم التى أنعم الله بها على عباده ويتضح ذلك مما ذكر فى الآية الكريمة فى قوله تعالى ﴿ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيرا ما بأنفسبهم وأن الله سميع عليم ﴾ ، (الأنفال ــ ٥٣) .

والنعم كثيرة ومتعددة وهى متضمنة فى المجال الذى يحدث فيه التغيير فيقول تعالى ﴿ وآتاكم من كل ماسألتموه وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها إن الإنسان لظلوم

كفار ﴾ ، (إبراهيم ــ ٣٤) .

فكل النعم متضمنة فى الآية أما التغييرات التى تحدثها الأقوام فإن الله سبحانه وتعالى حدد مجالها بما فى الأنفس ويتعلق هذا بالأفكار والمفاهيم والقيم والمعلومات والمعارف وهذه كلها مجالها يمكن أن تتناوله التربية ومعرفة الارتباط بين التغييرين يجعلنا نهتم بجانب تغيير ما بالأنفس بالتربية والتعليم والتزكية وتعديل السلوك وبهذا يتمكن الإنسان من استخدام سنن التغير والاستفادة منها .

ومن هنا فإن الجانب الذى يخص القوم هو جانب فى غاية الأهمية وهو الأمر الذى يجب أن نوليه الاهتمام بالتربية الإسلامية لأن التربية مجالها ما بالأنفس وهى القادرة على إحداث هذا التغيير ويجب أن يفعل الأفراد ما يخصهم ثم بعد ذلك ينتظرون ما يخص الله سبحانه وتعالى وتلك سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً . وهنا نجد أن المشكلة فى المقام الأول هى مشكلة الإنسان بكل ثقله وتبعاته وإمكاناته وقدراته واستعداداته وإرادته ودوره فى إحداث التغيير وتحمله ومسئوليته لما هو فيه من تبعات التخلف والجهالة فالإنسان يستطيع أن يزكى النفس وأن يرسيها قال تعالى ﴿ ونفس وماسواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ﴾ (الشمس ــ٧ ــ ١٠) .

فمبادىء تزكية النفس هى العلاج والسبيل إلى مواجهة المشكلات والتغيير وعوامل التدسية هى لب المشكلة وقد نسب الله سبحانه وتعالى عوامل التزكية والتدسية للبشر ويفيد ذلك فى أنه يمكن أن توضع فى النفس الأفكار إبتداءً كما يمكن أن يعدل السلوك وأن يرفع مافى الأنفس من مفاهيم سلبية وأن نوضع مفاهيم أخرى وهذا هو الجزء الهام والأهم فى عملية التغيير وهذا ما يمكن أن تضطلع به عملية التربيه والتعليم .

٥ ــ إن مهمة البشر فى تهيئة الأسباب والتفاعل معها والتغير الذى يحدثه الله سبحانه وتعالى فى خلق النتائج .

إن الله سيغير ما بالقوم إذا هم غيروا ما بأنفسهم ، ومهمة البشر هنا هى

اكتشاف السنن والاجتهاد والاستفادة منها فللإنسان سلطان على ما بالأنفس ولقد اشترط الله أسبقية التغيير الذى يحدثه القوم فإذا وقع التغيير الذى يحدثه الله دل ذلك بالقطع على أن البشر قد غيروا ما بأنفسهم وإذا حدث التغيير الذى يحدثه البشر فإن وعد الله آت لامحاله وعلينا أن نعرف أن هذا الذى يحدث فى مجال القوم (الجماعة والمجتمع لافى مجال الفرد) .

إن الإنسان ليست له القدرة على خلق النتائج ولكن مجاله يتمركز فى الاستفادة من السنن الموضوعة فالإنسان له عمل عليه أن يعمله وهذه سنة الله القائل ﴿ فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا ﴾ ،(فاطر — ٤٣) .

على الإنسان أن يأخذ بالأسباب والقرآن الكريم يحوى كثيرا من المواقف فقد أمر الله السيدة البتول مريم أن تهز النخلة عندما فاجأها المخاض إشارة إلى أن البشر عليه أن يأخذ بالأسباب ثم يترك النتائج على الله سبحانه وتعالى القائل ﴿ وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا ﴾ ، (مريم — ٢٥) .

وهنا الثابت أن للإنسان عملا وعلى الإنسان أن يعمل مايخصه . هناك مقدمات من اختصاص البشر ثم النتائج على الله سبحانه وتعالى .

﴿ أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ﴾ ، (الواقعة — ٥٨ — ٥٩) .

﴿ أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ﴾ ، (الواقعة — ٦٣ — ٦٤) .

ومن القوانين السابقة يمكننا أن نخلص إلى إمكانية تغيير ما بالنفس وإن هذا من مهمة البشر وأن التغير الاجتماعى يعد سنة عامة لجميع البشر وسنة مجتمع لاسنة فرد.ويتضح أن للتربية الدور الأساسى حيث أنها الطريقة التى تستطيع أن نغير بها مابالأنفس . والإنسان أطول المخلوقات حضانة ومن هنا كانت مرحلة الطفولةذات أهمية كبرى فى التنشئة الاجتماعية وفى اكتساب الأطفال نمطاً معيناً من الحياة

الاجتماعية بقيمها وأفكارها وذلك لأن أثر البيئة شديد على تكوين الإنسان فالمجتمع هو الذى يعطى للفرد الذى ينشأ فيه قيمه ومعاييـــره وكيف يتم ذلك ؟ والإجابة بالتربية والتعليم ومن هنا كانت أهمية صياغة الفردالذى ينشأ فى المجتمع وذلك بالاهتداء إلى السنن والقوانين التى تحكم ذلك .

* * * * *

مفهوم التربية الإسلامية

إذا كان التغير الاجتماعى رهن بتغيير مابالأنفس فإن تغيير مابالأنفس هو مهمة التربية الأولى وهذه المهمة ليست سهله لأنها تتعلق بالإنسان ذلك المجهول الذى نكتشف جزءاً منه يوماً بعد يوم وسيستمر ذلك إلى أن تقوم الساعة مصداقاً لقوله تعالى ﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربكَ أنهُ على كل شىء شهيد ﴾ ، (فصلت ٥٣)

وإدخال السين على نريهم يفيد الاستقبال والاستقبال مستمر ومتجدد لايتوقف إلى قيام الساعة فلكل عصر مستقبله وهو حاضر لما يأتى بعده وهكذا فالآيات مستمره فى الآفاق وفى الأنفس .

والتربية التى يمكن أن تقوم بتلك العملية تنبثق من الإسلام الذى هو شريعة الله والعمل بهذه الشريعة يقتضى أن يكون البشر على درجة تؤهلهم لحمل الأمانة ويقتضى هذا التطوير والتهذيب والتزكية لمادة التربية ونقصد بهذا الإنسان وهذا التطوير والتهذيب والتزكية يمكن أن نطلق عليه التربية الإسلامية . فهى تعنى كما يرى النحلاوى « تربية الفرد على الإيمان بالله والاستسلام لشريعته .... ، تربية النفس على الأعمال الصالحة وعلى منهج الحياة الإسلامية ، تربية المجتمع على التواصى بالحق للعمل به)...[(١)]

والتربية الإسلامية تربية شاملة تهتم بالعبادة والسلوك وتهتم بالفرد والجماعة وتركز على العقيدة والعمل فهى تهتم بجميع جوانب الحياة وتهتم أيضاً بما بعد الحياة حيث أن نظرة الإسلام تربط بين الدنيا والآخرة . والتربية الإسلامية تعمل على المحافظة على فطرة الناشىء ورعايتها وتنمية مواهبه واستعداداته وتوجيه الفطرة والمواهب والاستعدادات وفق توجيهات الإسلام وتعمل أيضاً على السير فى هذه العملية بتدرج .

---

(١) عبد الرحمن النحلاوى . أصول التربية الإسلامية وأساليبها ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٧٩ . ص١٨ .

ولقد تناول محمد قطب التربية الإسلامية بقوله « عالجت التربية الإسلامية الفرد معالجة كاملة شاملة لجسده وروحه وعقله ووجدانه وعلاقاته الاجتماعية مع الآخرين هى معالجة الكائن البشرى كله معالجة شاملة لاتترك شيئاً ولاتغفل عن شيء جسمه وعقله وروحه ورغباته المادية والمعنوية وكل نشاطه على الأرض فالإسلام يأخذ الكائن الحى البشرى كما هو عليه بفطرته التى خلقه الله عليها فهو لايفعل شيئاً من هذه الفطرة ولايفرض عليها شيئاً فى تركيبها الأصيل ويتناول هذه الفطرة فى دقة بالغة فيعالج كل جزء من حياة الإنسان فى تناغم تام ويعالج كل وتر فيها وكل نغمة تصدر عن هذا الوتر فيضبطها بضبطها الصحيح وفى نفس الوقت يعالج كل الأوتار مجتمعة»[1] وينظر الإسلام إلى الإنسان نظرة شاملة من جميع جوانبه الجسمية والنفسية والعقلية والاجتماعية وهو بذلك يختلف قطعاً عن الأيديولوجيات الأخرى التى تهتم بناحية وتهمل أخرى أو تركز على جانب دون الجانب الآخر .

والتربية الإسلامية تبدأ بالفرد لأن الفرد عضو فى الجماعة التى يعيش فى كنفها فإذا أحسنت تربية الفرد ووجه التوجيه السليم فمما لاشك فيه أن هذه التربية سوف تشمل الجماعة كلها وسيمتد أثرها إلى المجتمع كله .

وإذا كانت التربية تختلف باختلاف المذاهب والمجتمعات وينظر إليها المربون والفلاسفة نظرات مختلفة من زوايا مختلفة ولأن موضوعنا يركز على التربية الإسلامية فيرى الباحث أنه لاحاجة لإيراد مفهوم التربية فى الفلسفات المختلفة فلقد كتب الكثيرون حول آراء أفلاطون وأرسطو وروسو وكانت ونسبالوتزى وكلباترك وجون ديوى وامتلأت بها كتب فلسفة التربية ولكننا هنا نركز على التربية الإسلامية التى تنطلق من منهج وضعه الله سبحانه وتعالى خالق الإنسان ﴿ ألا يَعلَمُ من خلَقَ وهو اللطيفُ الخبير ﴾ (الملك ـــ ١٤) وهو الذى سن سنناً لنموها ومعاملتها وتفاعلها « إن للتربية فى ضوء الإسلام أن تسير وفق أحكام الشريعة الإسلامية ومن هنا أيضاً فإن القول أن التربية عملية هادفه لها أغراضها وأهدافها وخططها وغاياتها وأنها تقتضى خططاً متدرجة يترتب بعضها على

(١) محمدقطب . منهج التربية الإسلامية ، دار القلم القاهرة . د . ت . ص١٩ .

بعض ، فالأعمال التربوية والتعليمية تسير وفق ترتيب منظم صاعد ينتقل مع الناشيء من طور إلى طور ومن مرحلة إلى مرحلة فى كل شأن من الشئون[1] والتربية الإسلامية تبدأ ببناء الفرد من داخل الفرد وذلك بتكوين عقيدة التوحيد فيه حيث يوحد بها ذاته وكيانه واتجاهه ورغباته والمنهج فى التربية الإسلامية يقدم تزكية النفوس وتهذيبها على تعليم العقول حيث يقول سبحانه وتعالى ﴿ كما أرسَلنا فيكم رسولاً منكم يَتْلُوا عليكُم آياتنا ويزكيكُم ويعلمكُم الكتابَ والحكمةَ ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون ﴾ ، (البقرة ـــ ١٥١) وبالتربية الإسلامية تنمى الأخلاق ويكون الإسلام روحاً خيره وإرادة خيره تسعى إلى الإصلاح وتنمى الجوانب العقلية والعلمية وتتكون العقلية المنطقية . وبالتربية الإسلامية يُربى الفرد اجتماعياً حيث يكون الإسلام فى الفرد روح التعاون والتعلق بالمجتمع . وبالتربية الإسلامية تتكون فى الفرد روح الاحترام للإنسان وتعطى القيمة له من حيث هو إنسان بصرف النظر عن وظيفته وجنسه ولونه ، ففى التربية الإسلامية يتناول الإنسان من جميع جوانبه وجميع مناحى حياته .

التربية والتعليم

قد يظن فى تناول مفهوم التربية الإسلامية أن هناك غموضاً فيما يتعلق بمفهوم التربية ومفهوم التعليم وهل التربية مردافة للتعليم أم أن التربية شيء آخر مغاير للتعليم أم أن أحدهما يشمل الآخر ويحتويه وقد التبس الأمر على الكثيرين فجعلوا التربية والتعليم شيئاً واحداً والحقيقة أن هناك فرقاً بينهما . والفرق بين التربية والتعليم ليس فرقاً كبيراً والتفرقة الزائدة بين التربية والتعليم أمر فيه شيء من المبالغة ولكن على أية حال هناك فرق .

ويتناول عبد الفتاح جلال مفهوم التربية والتعليم فى الفكر التربوى الإسلامى بقوله « كلمة التعليم أعم وأشمل فى الفكر التربوى الإسلامى من كلمة التربية ..... فالرسول عليه الصلاة والسلام يعلم المسلمين تلاوة القرآن ولاتقتصر التلاوة

---

(١) عبد الرحمن النالى مدخل إلى التربية فى ضوء الإسلام ، المكتب الإسلامى ، بيروت . ١٤٠٠ ه ص١٣ .

على مجرد القراءة وإنما هى تلاوة تدبر ، ملؤها الفهم والإدراك والمسئولية واستشعار الأمانه فينتقل بهم من هذه التلاوة إلى التزكية وهى تطهير النفس البشرية وتنقيتها من الشوائب وجعلها فى حالة تسمح لها بتلقى الحكمة وتعلم كل ماينفعها ومالم تكن تعلمه :.. أما التربية فالمقصود بها هو عملية الإعداد والرعاية فى مرحلة النشأة الأولى للإنسان .(١)

وهكذا فطبقا لهذا الرأى نجد أن التعليم أعم وأشمل من التربية وهو هنا يشتمل على جوانب تطبيقية إلى جانب الجوانب المعرفية أو المعرفة بجانبها النظرى والتطبيقى ، « إن العلم الذى يسعى الإسلام إلى أن يتوافر فى الإنسان هو العلم الشامل لجميع أنواع المعارف والمهارات والاتجاهات والذى ينعكس جليا فى سلوكه فى كل جوانب حياته وفى كل تصرف يتصرفه » .(٢)

أما عبد الرحمن البانى فيرى رأيا مختلفا وقد اتجه فى البداية إلى الناحية اللغوية ثم بعدذلك إلى الناحية الإصطلاحية وبين أن للتربية ثلاثة أصول من الناحية اللغوية :

الأصل الأول .. **يعنى النمو .**

الأصل الثانى ..**يعنى التنشئة .**

الأصل الثالث **يعنى الإصلاح والرعاية .**(٣)

ويبدو أن الدكتور عبد الفتاح جلال قد اقتصر فى توضيح الفرق بين التربية والتعليم على أصل واحد وقد يكون ذلك لاعتماده فى وجهة نظره على الآيتين اللتين أوردهما وهما من قوله سبحانه وتعالى ﴿ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا ﴾ ، (الاسراء – ٢٤)

وقال ﴿ قال ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك

(١) عبد الفتاح جلال . من الأصول التربوية فى الإسلام ، المركز الدولى للتعليم الوظيفى للكبار ، سرس الليان منوفية جمهورية مصر العربية ، ١٩٧٧ ص١٦ – ١٧ .

(٢) المرجع السابق . ص١٩ .

(٣) عبد الرحمن البانى . مرجع سابق . ص٧ .

سنين ﴾ (الشعراء — ١٨)

وهذه تتعلق كما يبدو من السياق بمرحلة الطفولة المبكرة .

والتربية كما أورد عبد الرحمن البانى تتكون من عناصر :

أولاً : المحافظة على فطرة الناشىء ورعايتها .
ثانياً : تنمية مواهبه واستعداداته كلها .
ثالثاً : توجيه هذه الفطرة وهذه المواهب نحو صلاحها وكمالها اللائق بها .
رابعاً : التدرج فى هذه العملية .[(١)]

ومن هنا فإن التربية أعم وأشمل من التعليم وفى العصر الحاضر يقصد بالتعليم شيئا آخر أقل شمولا وأضيق معنى من مدلول كلمة التربية فالتربية تشمل جوانب الشخصية كلها وهى تستعين بوسائل متعددة ومتنوعة ومنها التعليم ومؤسساته الذى قديكون مقصورا على تحصيل المعرفة وزيادتها أما التربية فهى تتناول ماهو أشمل وأعمق فى شخصية الفرد « التعليم يتناول غالبا المعلومات أى الناحية العقلية وقد يتناول إتقانا لمهارة من المهارات والتربية تتناول ماهو أعم من ذلك إنهاتتناول السلوك والعاطفة والاتجاهات الأخلاقية إيقاظ المشاعر السامية والتدريب على الخلق الجميل وكل عمل تعليمى جيد لابد أن يكون له هدف تربوى .. أى أن التعليم المثالى إنما هو تربية ولكنه فى الاصطلاح — يظل مرتبطا بموضوع ما .. فالتربية والتعليم ليسا متعارضين ولامنفصلين بل هما متآزران متكاملان » .[(٢)]

وهناك من يرى أن الفرق بين التعليم والتربية هو فرق فى المؤسسات والأهداف فللتعليم مؤسساته التى أنشأت لهذا الغرض وله أهدافه المتمثلة فى الحصول على المعرفة أو اكتساب بعض المهارات والمؤسسة هنا هى المدرسة أما بالنسبة للتربية فإن المؤسسات متعددة بدءً من الأسرة وانتهاء بأى مؤسسة قد تسهم فى تنمية شخصية الفرد وهذه المؤسسات التربوية تتضمن أيضا المؤسسات

(١) نفس المرجع . ص١٢ — ١٣ .
(٢) نفس المرجع ، ص٢٤ — ٢٦ .

التعليمية أما هدفها فهو تنمية الفرد من جميع جوانبه .. ويقول محمد سيف الدين فهمى « إذا كان تعريفنا للتعليم بأنه العملية المقصودة التى تؤدى بواسطة مؤسسات أنشأت خصيصا لهذا الغرض ويقوم بها أفراد اختيروا ودربوا خصيصا للقيام بهذه العملية بهدف الحصول على معرفة أو اكتساب مهارة أو تنمية قدرات أو طاقات خاصة فإن عملية التربية أوسع من هذا وأعظم فالتعليم يكون جانبا من جوانب العملية التربوية أو عمقا من أعماقها والتربية لاتهدف فقط إلى توصيل معرفة أو اكتساب مهارة أو تنمية قدرة أو طاقة ولكنها بالإضافة لهذا وفوق هذا تهدف إلى تنمية الفرد من جميع جوانبه الروحية والخلقية والفكرية والمهارية والبدنية بل إن التربية لاتهدف فقط إلى إعداد المواطن الصالح للمجتمع بل تهدف عن طريق وسائلها إلى تنمية هذا المجتمع وتطويره وتحسينه »[1]

ومع أنه قد يبدو أن هناك فرقاإلا أن هذا الفرق ليس كبيرا وينبغى النظر إلى التربية والتعليم نظرة متكاملة فهناك خطورة من تلك النظرة المنفصلة فالذين يذهبون إلى قصر التربية على تربية الأخلاق وتهذيب السلوك ويقصرون التعليم على أنه جمع للحقائق والمعلومات أى أنه يتناول جانب العقل فقط لايتفقون مع نظرة الإسلام الشاملة للإنسان وينظرون إلى الإنسان على أنه مجموع أجزاء وهو ليس كذلك فأحيانا يطلق التعليم ويراد به التربية فقد يكون مشتملا على تعديل فى السلوك والميول ولايكون مجرد تجميع للعلوم أو تحصيل للمعارف ثم مافائدة التحصيل إذا لم يكن من نتيجة تعديل وتنمية السلوك إن النظرة المتكاملة مطلوبة وشىء ضرورى حتى إن كان هناك فرق وإن التكامل بين المؤسسات المختلفة التربوية مطلوب حتى وإن تعددت وظائفها واختلفت أنماطها فالإسلام ينظر إلى الإنسان على أنه كل متكامل لايمكن أن ينفصل جسده عن عقله ولاعن روحه .

* * * * *

---

(١) محمد سيف الدين فهمى . التخطيط العلمى ، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٦٥ . ص١٢ — ١٣ .

أهداف التربيـة الإســلامية

تتعدد أهداف التربيـة بوجه عام لتتنـاول جوانب مختلفة طبقا للفلسفات والأيديولوجيات والأفكار التى تنطلق منها، وموضوع التربية وأهدافها من الموضوعات الواســعة والمشتركة بين كثير من العلوم الاجتماعية ومن هنـا تشعبت الاتجاهات فى دراسة التربيةوتشعبت وجهات النظر حول أهدافها والتربية ذات صبغة اجتماعية فى أصولها ووظائفها فهى الوسيــلة التى يستخدمها المجتمع ليشكل أفراده اجتماعيا ومن هنـا كانت الوسيـلة الأساسيـة لأى تغير اجتماعى والتربيـة عملية معقدة حيث إن أهدافها متعددة وطرائقها كثيرة ووســائلها شتى ومن هنـا كانت صعوبة تحديد تلك العملية ونظرة إلى أهداف التربيـة نجد أن الآراء حولها تشـمل الآتى .

١ ــ **النمو** : فالتربية تهدف إلى نمو الفرد من كل جوانبه جـسدا وعاطفة وعقلا واجتماعية ومعرفة ومهارة وسلوكا وخبرة فهى تعنى بنموالإنسان الفرد وفق ثقافة مجتمعه وقيمه وهى عملية نمو فردى واجتماعى وإنســانى .

٢ ــ تحقيق الذات :

حيث تكون الذاتية الهدف الأسمى للتربية وعلى التربية أن تعنى بذاتية الإنسان من حيث هو إنسان ومن هنا يكون التركيز على مفهوم الحرية لما لها من شأن كبير فى عملية التربية وتحقيق الذات .

٣ ــ التكيف :

والتكيف يعتبر ركيزة أساسية من ركائز التربية وهو من العمليات الأساسية فى حياة الإنسان الاجتماعية فالإنسان يواجه كثيرا من المؤثرات الداخلية والخارجية ويحاول أن يكيفها ويخضعها لحاجاته ومتطلباته أو يحاول أن يتكيف معها وعندما تكون عملية التكيف متفقه مع حاجات الفرد ومطالب الجماعة فإنها تكون عمليـة فردية واجتماعية فى نفس الوقت .

٤ ــ إعداد الفرد لمهنة :

هذا الهدف يتعلق بعملية إعداد الفرد لمهنة يؤديها يستطيع بها أن يكسب العيش، وأن يسهم فى بناء مجتمعه وأن يعيش فى هذا المجتمع معتمدا على نفسه متكيفا مع بيئته .

٥ ــ إيجاد المواطن الصالح :

غاية عملية التربية هى تحويل الفرد إلى مواطن صالح وفى إعداد هذا المواطن يكون الخير له وللمجتمع والإنسانية بوجه عام فبالتربية يتحول الإنسان إلى مخلوق اجتماعى يستطيع مواجهة الحياة ومشاكلها حتى يكون عضوا نافعا فى المجتمع ويعمل على تطويره وتقدمه .

إن الأهداف كما تناولها علماء الفكر التربوى متعددة ومثل هذه الأهداف السابقة لاشك أنها أهداف مشروعة ولايمكن إنكارها كأحد الأمور التى تسعى التربية إلى تحقيقها ولكن لايمكن بأى حال من الأحوال أن نقصر التربية على واحد منها فإعداد الفرد لمهنة هدف ولكنه ليس الهدف الوحيد وتحقيق الذات والتكيف هدفان ولكن الخطأ فى جعلهما أهدافا نهائية مطلقة لأن هناك ضوابط وأصولا ،وإطلاق التعميم بهذه الصورة يؤدى فى كثير من الأحيان إلى الغموض ويحتاج إلى توضيح كل من التكيف وتحقيق الذات فقدتتحقق الذات من خلال تربية العقل ولكن الإنسان ليس عقلا فحسب فهناك جوانب أخرى لايمكن إغفالها وتحقيق الذات قد ينحرف إلى أمور لاتمت إلى التربية بصلة فما هو المعيار الذى تتحقق به الذات ومن الذى يضع هذا المعيار .

وماهى حدود تلك الذاتية ؟ إن الإسراف فى الذاتية يكون على حساب جانب آخر وهو الجانب الاجتماعى فكيف يتم التوازن بين الجانبين والتربية عليها أن تشعر الفرد دائما بالمشاركة الاجتماعية مع أفراد المجتمع الذى يعيش فيه تلك المشاركة التى تربط الإنسان بمجتمعه وتجعله دائما يشعر بالانتماء إلى هذا المجتمع ثم إن قضية إعداد المواطن الصالح فى حد ذاتها تحتاج إلى معيار فمن الذى يضع هذا المعيار ؟

ولأى مجتمع ؟ فما يصلح لمجتمع قد لا يصلح لآخر مما قد يتعارض مع مفهوم الفطرة التى فطر الله الناس عليها ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون ﴾ ، (الروم — ٣٠)

مما سبق يمكن القول أن ما ذكر من أهداف لايصلح واحد منها لكى يكون هدفا نهائيا للتربية إنها قد تصلح لأن تكون أحد الأهداف أو لأن تكون أهدافا فرعية جزئية لهدف التربية الإسلامية الأعم والأشمل ألا وهو تحقيق العبودية لله أن يصير الإنسان — كل الإنسان — عابدا ، ذلك هو الهدف الكلى للتعليم والتربية فى الإسلام والذى يمكن أن يتفرع عنه العديد من الأهداف الجزئية والعبودية لله شرف للإنسان ، وشرف لكل المخلوقات ، فبها تتم عزتهم وبها يتحقق صلاح أمرهم .(١)

وقد قال الله تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ ، (الذاريات — ٥٦)

وقال ﴿ إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾ ، (الأنعام — ١٦٢ — ١٦٣)

ومن هنا نجد أن هذا هو الهدف الأساسى . والإيمان هو القضية الأولى للإنسان وموضوع التربية هو الإنسان كل الإنسان بعقله ووجدانه وعواطفه ومشاعره وجسمه وقيمه الاجتماعية وفطرته ومعاييره ومن هنا يمكن القول « إن هدفا لايرتبط بقضية الإيمان سيكون غريبا عن بنية الإنسان بصفاته التى تميزه عن غيره من المخلوقات ... إن تحقيق العبودية لله تعالى فى حياة الإنسان على مستوى الفرد والجماعة والإنسانية هو هدف التربية » (٢)

والعبادة كلمة جامعة مانعة فكل عمل يعمله الإنسان ابتغاء مرضاة الله من أقوال وأفعال وأعمال يعتبر عبادة طالما أنها تنسجم مع شرع الله فغاية التربية

---

(١) عبد الفتاح جلال . مرجع سابق ، ص٧٩ — ٨١ .

(٢) عبد الرحمن البانى . مرجع سابق ، ص٦٩ .

النهائية مرتبطة بالإيمان والعبادةمؤدية إلى السلوك الذى ينسجم مع هذا الإيمان .

والعبادة لاتقتصر على ما يطلق عليه الفقهاء العبادات وهى أركان الإسلام ولكن العبادة شاملة كل سلوك الإنسان وأقواله وأعماله فالعمل عبادة والسعى فى طلب الرزق عبادة وتنمية الجسم بالحلال من الرزق عبادة والاستجابة لأوامر الله واجتناب نواهيه عبادة وقيام الإنسان بدور اجتماعى بناء عبادة وإسهام الإنسان فى تحسين مجتمعه وتغيير ما به من سلبيات عبادة فأمور العبادة تشمل الدنيا والآخرة ولهذا فإن هدفا كهذا شاملا هو الهدف الأساسى للتربية الإسلامية .

ولاشك أن بناء الشخصية على أساس من الإيمان يجعل هناك وحدة فى المصدر ووحدة فى الاتجاه وتناغم وانسجام فى الشخصية واتساق فى القيم ويقضى على تمزق الشخصية ويبث الطمأنينة والراحة والشعور بالأمن ويحرر العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله فهى تحرر من العبوديات الأخرى ولقد أورد عبد الرحمن النحلاوى الأثر التربوى للعبادات حيث قال :

١ ـــ العبادات فى الإسلام تعلمنا الوعى الفكرى الدائم .

٢ ـــ العبادات تربى المسلم على الارتباط بالجماعة المسلمة .

٣ ـــ العبادة فى الإسلام تربى النفس المسلمة على العزة والكرامة .

٤ ـــ العبادة فى الإسلام تجمع المسلمين تحت لواء عقيدة واحدة وتعلم المسلمين الحياة الشورية القائمة على التعاون والمساواة والعدل .

٥ ـــ العبادة فى الإسلام تربى عند المسلم قدرا من الفضائل الثابتة المطلقة .

٦ ـــ والتربية على أساس العبادة تزود الإنسان بالثقة بالنفس المستمدة من الثقة بالله والأمل بالمستقبل .. والوعى ..

٧ ـــ ثم إن تربية المسلم بالعبادةتجدد نفسه باستمرار .. بالتوبة التى تزيل عن قلبه وتصوراته ما قد يعلق بها من أدناس .. فالتوبة تطهير مستمر للنفس ..

وتعين على إعادة تكيف الإنسان مع نفسه ومع مبادئه ومع مجتمعه كما أنها تربى المجتمع على التسامح بين أفراده [1] .

وإذا كان تحقيق العبودية لله هو الهدف الأساسى للتربية الإسلامية فإن هناك أهدافا أخرى يمكن اشتقاقها من القرآن الكريم والسنة الشريفة وهذه الأهداف العامة تتصف بأنها تبدأ بالفرد وتنتهى بالمجتمع الإنسانى كله وأيضا تبدأ بالدنيا وتنتهى بالآخرة فى توازن واتساق كاملين بين الفرد والمجتمع من ناحية وبين الدين والدنيا من ناحية أخرى ولقد عرض ماجد الكيلانى . [2]

لهذه الأهداف كما تشتق من القرآن الكريم والسنة الشريفة فيما يلى :

أ ـــ تعريف الإنسان بخالقه وبناء العلاقة بينهما على أساس من ربانية الخالق وعبودية المخلوق ﴿ وماأرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لاإله إلا أنا فاعبدون ﴾ ، (الأنبياء ـــ ٢٥)

﴿ وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ ، (الذاريات ـــ ٥٦)

ولبناء هذه العلاقة على أساس من العبودية الخالصة شددت هذه الأهداف على توجه الفرد بكل عمل يمارسه إلى الله فربطت بين السلوك والاتجاه وهو ما يعرف فى الإسلام باسم النية ، فالحديث النبوى يقرر : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرء مانوى » ... (رواه البخارى)

ب ـــ تطوير سلوك الفرد وتغيير اتجاهاته بحيث ينسجم مع الاتجاهات الإسلامية ... ﴿ قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى ﴾ ، (الأعلى ١٤ ـــ ١٧)

ج ـــ تدريب الفرد على مواجهة متطلبات الحياة المادية . ﴿ هو الذى جعل

(١) عبد الرحمن النحلاوى . مرجع سابق . ص٥١ ـــ ٥٦ .

(٢) ماجد عرسان الكيلانى . تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية . رسالة ماجستير منشورة ، جمعية عمال المطابع التعاونية ـــ عمان ١٩٧٨ ، ص٣٤ ـــ٣٧ .

لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور ﴾ ، (الملك ـــ ١٥)

د ـــ بناء المجتمع الإسلامى القائم على روابط العقيدة الإسلامية وتشريعاتها وإبراز أهمية قيام هذا المجتمع واعتبار الانتماء إليه كمال الدين ودليلالصحة الإيمان .

« والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم ﴾ ، (التوبة ـــ ٧١)

هـ ـــ إعداد المسلمين لحمل الرسالة الإسلامية إلى العالم ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴾ ، (البقرة ـــ ١٤٣)

و ـــ غرس الإيمان بوحدة الإنسانية والمساواة بين البشر ﴿ وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون ﴾ ، (المؤمنون ـــ ٥٢)

وفى الحديث « يأيها النالس إن ربكم واحدوإن أباكم واحد ألا لافضل لعربى على عجمى ولالعجمى على عربى ولا أحمرعلى أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى إن أكرمكم عند اللهأتقاكم ﴾ (١)

وإذاكان تحقيق العبودية لله هو الهدف من التربيةالإسلامية فإن هذا الهدف يشمل أهدافا فرعية متعددة ومتنوعةوبتعدد وتنوع فروع التربية قديمها وحديثها وما قد يستجد منها حيث أن منهجها من الله سبحانه وتعالى الذى خلق الإنسان ويعلم من خلق من جميع جوانبه ﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾ ، (الملك ـــ ١٤)

ففى هذا الهدف تحقيق العبودية لله ـــ تناول لقوى الإنسان وملكاته جميعا وفيه .أيضا كل فروع التربية ، ففيه :

---

(١) رواه أحمد فى المسند ٥ / ٤١١ .

١ ــ تنمية لجسمه وحفظا لصحته وهذه هى التربية البدنية الصحيحة .

٢ ــ وتقويما للسانه وإصلاحا لبيانه وهى التربية الأدبية .

٣ ــ وتثقيفا لعقله وتسديدا لتفكيره وأحكامه وهى التربية العقلية .

٤ ــ وتزويدا له بالمعلومات الصحيحة النافعة وهى التربية العلمية .

٥ ــ وترويضا له على وسائل الكسب لعيشه وهى التربية المهنية .

٦ ــ وإيقاظا لشعوره بجمال الكون ومعاونة له على التعبير عن هذا الشعور وهى التربية الفنية .

٧ ــ وتعريفاله بحقوق المجتمع الذى يعيش فيه وبما فيه من نظم وإعداده للمساهمة فى إصلاحه وهى التربية الاجتماعية .

٨ ــ وتوسيعاالأفق شعوره بالأخوة العالمية وبما للآخرين من حقوق وهى التربية الإنسانية .

٩ ــ وتوجيها مستمرا لأعماله على سنن الاستقامة حتى تتكون فيها العادات الصالحة والأخلاق الحميدة الراسخة وهى التربية الخلقية .

١٠ ــ ثم تساميا بروحه إلى الأفق الأعلى بإطلاق وهى التربية الدينية .(١)

هذه الأنماط من التربية هى بمثابة أهداف جزئية للتربية الإسلامية وهى متفرعة وغيرها من الهدف الأساسى وهو تحقيق العبودية لله وهى كلها ضرورية لتحقيق هذا الهدف أن يصير الإنسان كل الإنسان عابدا لله حقا .

ومن هنا نجد أن للتربيةالإسلامية بعض السمات التى تميزها :

ــ فأهداف التربية الإسلامية واضحة ومحددة خاصة تلك التى لاتتأثر بتغير الزمان والمكان وهى العبودية للخالق والعلاقة بين الخالق والمخلوق .

---

(١) عبد الرحمن الباقى . مرجع سابق ، ص٧١ ــ ٧٢ .

ـــ لاتفصل التربية الإسلامية الجانب التعبدى عن الجانب الاجتماعى حيث لاتفصل بين الدنيا والدين وبين الجانب الجسمى والعقلى والروحى .

قال تعالى ﴿ وابتغ فيما آتاكَ اللهُ الدارَ الآخرة ولاتنسَ نَصيبكَ من الدنيا وأحسن كما أحَسن اللهُ إليك ولاتبغ الفسادَ فى الأرضِ إنَّ الله لايُحب المفسدين ﴾ (القصص ـــ ٧٧)

ـــ ترتكز التربية الإسلامية على الجانب الأخلاق والفطرة فتعمل على تربية الأخلاق تربية أخلاقية واقعية لهذا نجد ـــ كما ذكر أحمد فؤاد الأهوانى ـــ « إن الدين والأخلاق صنوان لايفترقان فى التربية الإسلامية لأن الدين والأخلاق حقيقتان لاتنفصلان فى الديانة الإسلامية »(١) والأخلاق فى الإسلام فردية واجتماعية فى نفس الوقت فهناك مايتعلق بالفرد وهناك مايتعلق بالمجتمع .

ـــ تتميز التربية الإسلامية بأنها تربى الفرد على التوازن بين مطالبه الفردية والمطالب الاجتماعية فقيم الإسلام ثابتة والتربية الإسلامية تهتم كذلك بالأسرة وتجعلها المحور الأساسى لتكوين المجتمع .

ـــ التربية الإسلامية تعمل على تنمية الضمير أو الرقيب على النفس حتى لاتخرج عن جادة الطريق مرتبطة بمهيمن أعلى هو الله .. ولا أخلاق بدون ضمير فالسلوك ينبع من داخل النفس والتربية الإسلامية مرتبطة بالخالق وهذه أهم سماتها الفارقة بينها وبين غيرها من النظم التربوية الأخرى ومن ثم فإنها توجه سلوك الفرد سواء فى داخل الأسرة أو خارجها فى إطار المجتمع العام ، فالشريعة الإسلامية هى المعيار لكل القيم فى المجتمع الإسلامى فما هو محمود فى الأسرة محمود فى النظام السياسى أو الاقتصادى أو الاجتماعى ، والصدق ، والوفاء ، والأمانة ، والتعاون ، والتراحم ، والمحبة كلها قيم ثابتة لاتتغير بتغير الزمان والمكان فى مفهوم التربية الإسلامية .

ومن هنا كانت واضحة الأهداف محددة المعالم شاملة لحياة الفرد والمجتمع عاملة على إحداث التغيير فى نفوس الأفراد لتتغير المجتمعات وقد اكتسبت قوتها وشمولها

---

(١) أحمد فؤاد الأهوانى . التربية فى الإسلام ، دار إحياء الكتب العربية القاهرة ، ١٩٥٥ ، ص١٩ .

وثباتها من أنها تتفق والفطرة السليمة فكانت الموعظة والتعليم بما تمثل من جانب نظرى قيمـى للسلـوك وكانت القـدوة هى الجانب التطبيقـى وكان العقـل هو الأساس فقـد اعتمدت التربية الإسلامية على نقل القيم والعادات وتشربها على العقل حيث حث الإسلام على استخدام العقل والتدبر بدون إكراه لأنه لاإكراه فى الدين ولكون الدين ينسجم مع الفطرة .

— تكمن سمات التربية الإسلامية فى كونها مستمدة من الشريعة الإسلامية التى هى شريعة إلهية أوجدها خالق الكون فهى جزء من نظام الكون العام وحقيقة من حقائقه الواقعية ، هذا النظام الذى وضعه الخالق يعمل فى انسجام مع بقية الأنظمة الأخرى وللعقل الإنسانى دور كبير فى تنظيم الحياة واكتشاف أسرارها ولكن هذا ينبغى أن يكون قائماً على أسس يضعها الخالق القائل ﴿ ولو اتبع الحقُّ أهواءَهُم لفسدت السمواتِ والأرض ومن فيهن بل أتيناهُم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون ﴾(المؤمنون — ٧١) ومن هنا شاءت حكمة الله وإرادته ألّا يترك الإنسان من غير موجه بل هداه ووضع الحقائق التى يحتاج إليها فى آداء دوره ووضع الأسس التى يفكر العقل فى ضوئها .

والشريعة الإسلامية التى تنبثق منها التربية الإسلامية هى شريعة عامة للبشرية جمعاء فى أى زمان ومكان لأنها تعبر عن فطرة الإنسان واستعداداته وتنسجم مع خصائصه وتتناسق مع أهدافه . وهى تنظر إلى الإنسان — مادة التربية — من حيث إنه كل لايتجزأ ولانجد ناحية من نواحى الحياة إلا واهتمت بها الشريعة إهتماماً كبيراً ووضعت لها الأصول والقواعد الضابطة والأنظمة . ولقد « قدمت الشريعة الإسلامية تفصيلاتها الكثيرة حول حياة الإنسان ومعالجة متطلبات جوانبها المتعددة ، فمن نظام روحى تعبدى إلى نظام اجتماعى متوازن ومن نظام سياسى شورى إلى نظام اقتصادى جماعى ومن نظام لأوضاع السلم إلى نظام لظروف الحرب ومن نظام خاص يضبط علاقة المسلمين ببعضهم إلى نظام عام يحدد العلاقة بينهم وبين الأمم الأخرى ومن نظام دستورى كلى إلى نظام قانونى تفصيلى » .[(١)]

---

(١) محسن عبد الحميد . مرجع سابق ، ص٦٦ .

ومن مقومات الشريعة الإسلامية أنها مرتبطة بقانون أخلاق ضابط بما للأخلاق من أثر كبير على سلوك الإنسان ونظامه القيمى ، الأخلاق التى تتعلق بالفرد وتحقيق مصالح البشر وحفظ دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم وحتى تفكيرهم . ومن شريعة تسعى إلى أن يرتقى الإنسان فى ضوء الضوابط الأخلاقية التى رسمها الدين الحنيف وفى ضوء الواقع الذى يعيشه الأفراد فالشريعة تراعى طاقة البشر وواقعهم ولايكلف الله نفسا إلا وسعها وقدر طاقتها ولهذا كانت الشريعة واقعية وميسورة قابله للتطبيق فى مجالات الحياة جميعها وفى كل زمان ومكان .

والشريعة الإسلامية اتجاهها جماعي وهى ليست جامدة لاتراعى تطورات الحياة بل هى شريعة تركت أبواب الاجتهاد مستمره بأصوله وضوابطه وقواعده وتركت للعقل مجالاته التى يجتهد فى إطارها .

* * * * *

التربية الإسلامية وتغيير النفس الإنسانية

يتمثل دور التربية الإسلامية فى تغيير النفس الإنسانية فى جوانب متعددة منها التعليم بميادينه المختلفه ، ومنها تحقيق أهداف التربية الإسلامية التى تكلمنا عنها ومنها أيضاً مايتصل بدورها فى تغيير الطبيعة الإنسانيه إلى حانب الميادين التى يمكن أن تحدث فيها تلك الأمور وبعض المؤسسات التى يمكن أن تضطلع بذلك . وفى هذا الجزء من الدراسة سيكون التركيز على كل هذه النقاط فى محاولة لمعرفة كيفية تحقيق الأهداف والميادين التى يمكن أن تحقق منها تلك الأهداف وكذلك المؤسسات المختلفة وستكون البداية بميادين التربية الإسلامية .

- ميادين التربية الإسلامية
- وتغيير النفس الإنسانية

تتعدد ميادين التربية الإسلامية لتشمل الجوانب المختلفة فى النفس الإنسانية ولتشمل النواحى العقلية والجسمية والروحية وتتعدد أيضا هذه الميادين للتوافق مع سنن التدرج التى يتم بها تعليم الإنسان وتربيته هذا التدرج الذى يتمثل فى مخاطبة الناس على قدر عقولهم والذى صوره رسول الله ﷺ حينما أرسل معاذاً رضى الله عنه إلى اليمن حين قال له : « إنك تأتى قوماً أهل كتاب فليكن أول ماتدعوهم إليه : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فإن استجابوا لذلك ، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات فى اليوم والليلة ، فإن هم استجابوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم زكاة تؤخذ من أغنيائهم وترد فى فقرائهم ، وإياك وكرائم أموالهم فإن دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب .»(١)

وفى هذا إشارة إلى التدرج فى التربية والتعامل بالرفق للوصول إلى درجة من تربية النفس حتى تنطبع بخلق الإسلام وتتمثل ميادين التربية الإسلامية بتعددها لتلقى الضوء على تعدد الأساليب المختلفة التى تنتهجها فى تناولها للفرد . ولقد ورد فى كتاب الله تعالى مايفيد ذلك فتوجد أربع آيات تحمل نفس تلك الميادين وهذه الآيات

---

(١) رواه مسلم فى الإيمان ١ / ٥٠ ورواه غيره

الأربعة هى

قال تعالى :

﴿ ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم ﴾ ، (البقرة — ١٢٩)

﴿ هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضـلال مبين ﴾ ، (الجمعة — ٢)

﴿ كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون ﴾ ، (البقرة — ١٥١)

﴿ لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل فى ضـلال مبين ﴾ ، (آل عمران — ١٦٤)

ويلاحظ أن الميادين الأساسية للتربية الإسلامية كما جاءت فى هذه الآيات تتناول الفرد الذى هو أساس التغيير وأداته والذى يعتبر تربيته وتغييره المقدمة المنطقية لتغيير المجتمع كما جاء فى الآية من قوله تعالى ﴿ إن الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ ، (الرعد — ١١)

ففى الآية يعد تغيير مابالأنفس مقدمة لتغيير المجتمع . وكيف يتغير ما بالأنفس؟ بالتربية .. فماهى تلك الميادين ؟ يرى ماجد الكيلانى أن الآية من قوله تعالى ﴿ هو الذى بعث فى الأمين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين ﴾ ، (الجمعة — ٢)

تمثل الإطار الذى يحدد ميادين التربية الإسلامية ومناهجها ويرى أن تلك الميادين تنقسم إلى [1]

---

(١) أنظر :

— ماجد عرسان الكيلانى . مرجع سابق ، ص٣٧ — ٥٤ .

١ ـــ ميدان العقيدة الإسلامية .

٢ ـــ ميدان التزكية .

٣ ـــ ميدان الإعداد الفكرى .

٤ ـــ ميدان الإعداد الوظيفى .

أولا : ميـــدان العقيدة الإســلامية .

ويعبر عن هذا الميدان فى الجزء من الآية (يتلواعليهم آياته)واللفظ القرآنى من بين إعجازه أنه يتضمن المفهوم الواسع ويتضمن أيضا المفهوم الضيق فلقدوردت كلمة آية بمعانى كثيرة فى القرآن الكريم وينبغى أن نستعرض تلك المعانى لكى نلم بها حيث أنها تمثل ميدانا أساسيا من حيث أولويته ومهمته ولقد وردت آية بالمعانى التالية :

١ ـــ معنى المعجزة :

قال تعالى : ﴿ واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى لنريك من آياتنا الكبرى ﴾ ، (طه ـــ ٢٢ ـــ ٢٣)

وقال ﴿ وجعلنا بن مريم وأمه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين ﴾ ، (المؤمنون ـــ ٥٠)

٢ ـــ معنى العلاقة :

قال تعالى ﴿ قال رب اجعل لى آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلارمزا ﴾ ، (آل عمران ـــ ٤١)

٣ ـــ معنى البرهان على قدرةالله :

قال تعالى ﴿ وآية لهم الأرض الميتة أحييناهم وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون ﴾ ، (يس ـــ ٣٣)

وقال تعالى ﴿ ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعاوينزل من السماء ماء

فيحيى به الأرض بعد موتها إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ ، (الروم — ٢٤)

٤ — معنى العبرة :

قال تعالى : ﴿ فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون ﴾ (يونس— ٩٢)

٥ — معنى الآية القرآنية :

قال تعالى : ﴿ وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لايعلمون ﴾ (النحل — ١٠١)

ومن هنا كانت كلمة آية تشير إلى عدة معانى تتمثل كلها فى قوله تعالى ﴿ يتلوا عليهم آياته ﴾ ويتضح أن تلك المرحلة فى هذا الميدان تركز على إبراز شواهد الربوبية وغرس الولاء للإسلام وغرس الاتجاهات الإيمانية فى نفوس الأفراد وتشمل أيضا مضامين معينة تتعلق بأمور غيبية مثل ماورد فى معجزات الأنبياء وظواهر الغيب والحياة والموت وتتناول أيضا ظواهر محسوسة مثل الكون ومظاهر الاجتماع البشرى

ويلاحظ أن الرسول ﷺ قد بدأ بهذا الميدان ويتضح ذلك من خلال الآيات التى نزلت فى خلال الفترة الأولى والتى تركز على أمور العقيدة الإسلامية وبنائها .

ثانيا : ميدان التزكية :

ويعبر عن هذا الميدان فى الجزء من الآية « ويزكيهم » وتعنى التزكية لغة الإصلاح والتطهير والتنمية وتتضمن أيضا تعديل السلوك بلغة التربية الحديثة وتعديل السلوك يعنى انتزاع ماهو غير مرغوب وتعزيز ماهو مرغوب وينصب ميدان التزكية هنا على تنمية الإنسان المسلم من جميع جوانبه وتهذيب سلوكه وتطهيره من العادات والتقاليد والقيم غير الإسلامية ثم إيجاد البديل بتعديل السلوك إلى سلوك مرغوب فيه وفى هذا الميدان يركز الإسلام على أسلوب الترغيب

والترهيب والموعظة لانتزاع غير المرغوب وغرس المرغوب إلى جانب التركيز على القدوة والتزكية كميدان من ميادين التربية الإسلامية نجده شاملا للجوانب المختلفة فى الإنسان النفس والعقل والجسم .

فالإسلام يهتم بتزكية النفس ومجاهدتها والعمل على أن تكون متسقة مع الأهداف والأخلاق الإسلامية قال تعالى ﴿ ونفس وماسواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ﴾ (الشمس — ٧ — ١٠) .

ويكون ذلك بالابتعاد بالفرد عن البيئات التى تتنكر للقيم الإسلامية لتوفير الحمية الروحية والفكرية والسلوكية فتتمكن التربية الإسلامية من الانفراد بتشكيل سلوكه وهناك دعوة لمخالفة غير المسلمين فى كل حياتهم والتركيز عل الصحبة الطيبة وتطبيق التعاليم الإسلامية فى واقع الفرد والمشاركة الجماعية فى الممارسات ودعوة إلى مجاهدة النفس والمحافظة عليها وتزكيتها .

وتتدرج تزكية النفس فى ثلاثة مراحل كما حددها القرآن الكريم وتناولتها السنة النبوية المشرفة حتى تبلغ السلوك منتهاه المرغوب به والمراتب هى الإسلام وتستهدف تعديل السلوك الظاهر ثم الإيمان حيث يتدعم السلوك الظاهر بالإيمان الباطن والإحسان حيث تتناسق مهارات التفكير مع التطبيق والانفعال لتعزيز الموقف الذى تحدده التربية الإسلامية .

ويركز الإسلام تركيزا كبيرا على تزكية العقل وذلك بالتفكير والمراجعة وعدم التقليد ويوجه العقل إلى البحث فى الكون وأسراره ومحاولة اكتشاف قوانينه ويخاطب العقل دائما ويزكى القوم الذين يتفكرون فى خلق السموات والأرض .

والعقل من أكبر النعم ولهذا أوجب الله تعالى على كل إنسان حفظه وتنميته، بالعلم وتزكيته بمكارم الأخلاق وحرم عليه كل مايؤدى إلى فساده وضياعه وأوجب على كل إنسان المحافظة على عقله وتنميته بالأخلاق الحسنة وتزكيته كذلك بالعلوم والمعارف وفى الإسلام لايذكر العقل إلا فى مقام التعظيم والتنبيه إلى وجوب العمل به والرجوع إليه للإدراك والتفكير والتذكر والتدبر

والتفقه والعلم وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تحث الفرد على تحكيم عقله وتلومه على إهمال عقله وقبول الحجر عليه قال تعالى ﴿ إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ﴾ ، (الأنفال ــ ٢٢) .

والعقل فى الإسلام له دوره فى قضية الإيمان ومنهج الحياة ونظامها وقد حدد الإسلام دوره ووضـع له القواعد والأصـول لذلك ورسالة الإسلام تخاطب العقل وتوقظه وتبين له المنهج الصحيح للنظر إلى الأمور ويكمن منهج الإسلام فى تربية العقل وتزكيته تربية تتفق مع الفطرة التى فطر الله الناس عليها ويرجع ذلك إلى أن العقل مناط التكاليف وإذا ما اختل سقطت التكاليف وفسد العقل وفى المنهج يعمل الإسلام على « تفريغ العقل من كل المعتقدات والتصورات التى تتفق ومنهجه تلك المعتقدات التى لم تقم على يقين وإنما قامت على مجرد الظن والتقليد ويبدأ الإسلام رحلة طويلة مع العقل الإنسانى للكشف عن هذه الانحرافات ويأخذ فى نقضها واحدة تلو الأخرى ويستخدم طريقة الحوار بالأدلة لإقناع العقل ويسخر من الذيـن يلغـون العقـل .. ويدعـو الإسلام العقـل للتعـرف على النـفس وأسرارها ويدعوه إلى التعرف على الكون حوله والتأمل فى سننه »[(١)]

وللإنسان عقل مدرك وطاقات تتناسب مع حجم المسئولية والتكليف الذى كلفه الله به ولهذا كان على الإنسان أن يفهم نفسه ويفكر فى آيات الله بالنظر والتمعن فيها وأن يكتشف سنن الله وأن يزكى عقله قبل أن يضطلع بهذه المهمة ولو لم يكن للإنسان هذه القدرة على التزكية ماأسندها الله سبحانه وتعالى إليه .

وتزكية العقل كما تناولها ماجد الكيلانى تشمل النقاط التالية : [(٢)]

١ ــ اعتياد النقد الذاتى بدل التفكير التدبرى :

هذا التفكير الذى يفترض الكمال فى صاحبه ويبرئه من أى مسئولية فى الأخطاء التى تحدث قال تعالى ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم

---

(١) عبد الرحمن عميرة . التربية الإسلامية وأثرها فى المجتمع ، فى الاجتهاد فى الشريعة الإسلامية وبحوث أخرى . إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض . ١٤٠٤ هـ ، ١٩٨٤ م ، ص ٢٧٩ . ٢٨٤ .

(٢) ماجد عرسان الكيلانى . مرجع سابق ، ص٤٤ ــ ٤٦ .

ويعفوا عن كثير ﴾ ، (الشورى ــ ٣٠)

وهذه دعوة لأن يتحرى العقل دور صاحبه فى كل ما يصيبه فى أى زمان ومكان .

٢ ــ تقرير التجديد بدلا من التقليد :

والتقليد هنا معناه عدم استعمال العقل واللجوء إلى المحاكاة مما يعطل العقل ولهذا يستنكر القرآن الكريم الجمود ويدعو إلى التحرر من أوهام التقليد ﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لايعقلون شيئا ولايهتدون ﴾ ، (البقرة ــ ١٧٠)

إلى جانب التنبيه بالبحث فى أسرار الكون والنفس وقوانين الوجود والعلاقات الاجتماعية .

٣ ــ اعتماد التفكير العلمى بدلا من الظن والهوى :

يتضمن الإسلام منهجا علميا للنظر العقلى، فمن ناحية اتباع الظن يقول تعالى ﴿ إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ﴾ ، (النجم ــ ٢٣)

وقال ﷺ « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث » ، (رواه البخارى)

وندد القرآن الكريم بمن يتبع الهوى ودعا إلى التثبت من كل أمر ونهى عن تبديد الطاقات السمعية والبصرية والعقلية فى أشياء لاأساس لها قال تعالى ﴿ ولاتقف ماليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ﴾ (الإسراء ــ ٣٦)

وهذه دعوة إلى التثبت وعدم إصدار الأحكام بتسرع ، ﴿ يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين ﴾ (الحجرات ــ ٦)

ونبه إلى عدم نشر مايسمع قبل أن يدرسه المختصون قال تعالى ﴿ وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولوردوه إلى الرسـول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا ﴾ ، (النساء ـــ ٨٣)

٤ ـــ إقرار التفكير الجماعى بدلا من الفردى :

إهتم الإسلام بالصالح العام وقررت توجيهاته مبدأ تبادل التأثير والتأثر فى أية ظاهرة اجتماعية قال تعالى ﴿ واتقوا فتنة لاتصيبين الذين ظلموا منكم خاصة ﴾ ، (الأنفال ـــ ٢٥)

وقال ﷺ « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » (رواه البخارى)

وقال « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» ، (رواه مسلم)

إن للإسلام منهجه العلمى الواضح للوصول إلى الحقيقة والمبنى على أسس سليمة تتمثل فى رفض الظن والتمسك باليقين وعدم التقليد الأعمى للسابقين والبحث عن الدليل والبرهان عن طريق البحث والمشاهدة والتركيز والتدقيق فى المشاهدة وهذه أسس هامة فى بناء العقلية العلمية الاجتماعية على مبادىء الإيمان والمنهجية العلمية ومبدأ العلمية والتجريبية دون اتباع الظن والوقوع فى براثن النظرة الخرافية فى فهم الأحداث والظواهر وتفسيرها .

أما فى ميدان تزكية الجسم فإن الإسلام يعمل على تنظيم حاجات الجسم بإباحة كل ما من شأنه أن يهيىء الجسم للنمو والصحة ﴿ قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ﴾ ، (الأعراف ـــ ٣٢)

ونظم الحاجات الجنسية وأكد كذلك على الابتعاد عن الإسراف لما له من آثار سيئة ﴿ وكلوا واشربوا ولاتسرفوا إنه لايحب المسرفين ﴾ ، (الأعراف ـــ ٣١)

وهذه دعوة إلى الاعتدال فى كل شيء حتى لايكون الإسراف فى جانب يطغى

على جوانب أخرى فهناك توازن وتكامل ، ويتناول ذلك محمد رأفت سعيد فيقول : « يقدم الإسلام عطاءه المتكامل للإنسان بواقعه المادى والقلبى والعقلى وهو فى عطائه هذا لايعلى جانبا على حساب الجوانب الأخرى ، وذلك لأن الإنسان خلقه الله وهذا العطاء المتسق والمتكامل آية من آيات الإعجاز ، وتتمثل جوانب هذا الإعجاز فى أن الجانب المادى فى الإنسان يمثله البدن وما يتصل به من غرائز تحتاج إلى إشباع والبدن يحتاج إلى تنمية وتنمية البدن تأتى فى الدرجة الأولى بتقديم الطعام والشراب وهذا الطعام يحتاج إلى كسب من الإنسان ومن الكسب مايكون حلالا ومن الطعام والشراب مايطغى على الجانب العقلى .. وإذا كان الطعام حلالا قد يؤكل بقدر حتى لايطغى على الجوانب الأخرى ومن هنا نهى الإسلام عن تناول الأطعمة التى تؤثر على العقل وجعل من تناول الطعام وسيلة لنمو البدن دون طغيان على الجوانب الأخرى » .

ولهذا كانت تزكية الجسم أساسية من أجل الاعتدال والاتساق والتوازن ولتزكية الجسم ينبغى أن تراعى الشروط المتمة لتلك التزكية وهى :

١ ــ **أن يكون الطعام حلالاً طيباً** حتى لايكون ذلك مفسدة للعقل والجسم ، غير مكتسب من حرام أو لايحوى حراماً قال تعالى ﴿ يأيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالاً طيباً ولاتتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾ ، (البقرة ــ ١٦٨) ﴿ وكلوا ممارزقكم الله حلالاً طيباً واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون ﴾ ، (المائدة ــ ٨٨)

٢ ــ **يأتى الأمر بتنمية الجانب الجسمى** مع قيود تمنع أن يطغى ذلك على الجوانب الأخرى والإشارة هنا إلى الاعتدال وعدم الإسراف وهذا واضح فى عديد من الآيات القرآنية وفى حديث رسول الله ﷺ « ماملأ آدمى وعاءً شراً من بطنه حسب بن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن لم يفعل فثلث طعام وثلث شراب وثلث للنفس » (رواه أحمد وابن ماجه والحاكم) .

---

(١) محمد رأفت سعيد . (الأصالة والمعاصرة فى الفكر الإسلامى » محاضرات الثقافة الإسلامية . كلية الشريعة قسم الثقافة الإسلامية الدراسات العليا مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، ١٤٠٣ هـ ، ص ١٦ .

٣ ـــ أن يراعى الإنسان حق الله فيشكره ولاينسى الفقير ويعمل الصالحات قال تعالى ﴿ ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على مارزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائسَ الفقير ﴾ (الحج ـــ ٢٨)

ويتصل أيضاً تزكية الجسم بجانب له خطورته وهو مايتعلق بالجانب الجنسى . وهذه الغريزة لم يغفلها الإسلام بل تناولها وعالجها وعمل على تصريفها فى إطار من الشرعية فلا يوجد مايسمى بالكبت الجنسى فى الإسلام فجعل من الزواج المصرف الرئيسى المبارك مصدر الراحة والسكن والمودة والرحمة . ومن هنا كان الإسلام واضحاً فى تناول جوانب الإنسان فى انسجام وتوازن وتكامل .

ثالثاً : ميدان الإعداد الفكرى وتقديم المعارف :

ويعبر عن هذا الميدان فى الجزء من الآية ﴿ ويعلمهم الكتاب ﴾ وهذا الميدان يركز على الأمور التى تتعلق بالمعارف والمبادىء والتشريعات والأمور التى تمد المتعلم بثقافة عامة والمهارات الفكرية والعملية التى تمكنه من تخطيط حياته وإدارة شئونه المختلفة بشكل ينسجم مع وجوده القائم . وفى هذا الميدان يركز على استخدام أسلوب القصص القرآنى لدراسة عوامل قيام الحضارات وانهيارها وأخذ العبر من ذلك وتطبيق سنن الله على الأحداث . واهتم الإسلام أيضاً فى هذا الميدان بالتنظيمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعسكرية ووضع خطوطها العريضة وفتح باب الاجتهاد فيها فالإسلام دين عام شامل صالح لكل زمان ومكان ومن هنا كانت دعوته للاجتهاد وخصوصاً فى الأمور الدنيوية كما قال الرسول الكريم ﷺ « أنتم أعلم بشئون دنياكم » (رواه مسلم)

رابعاً : ميدان الإعداد الوظيفى

ويعبر عن هذا الميدان فى الجزء من الآية ﴿ والحكمة ﴾ وكما وردت « آية » فى القرآن الكريم بعدة معانٍ فإن كلمة « حكمة » تتضمن أيضاً عدة معان تتعلق بالمهارات الفكرية والعملية والعقلية ولقد وردت بالمعانى التالية :

١ ـــ فهى تعنى العبرة :

قال تعالى ﴿ ولقد جاءهم من الأنباء مافيه مزدجر حكمةٌ بالغةٌ فما تغن النذر ﴾ ، (القمر ٤ ــ ٥)

٢ ــ وتعنى الإتقان والإصابة :

قال تعالى ﴿ ألر كتاب أحكمت آياته ثم فُصِلتْ من لدُن حكيمٍ خبير ﴾ ، (هود ــ ١) وفى الحديث الشريف « الحكمة الإصابة فى غير النبوة » (رواه البخارى)

٣ ــ وتعنى الحلول الملائمة :

قال تعالى ﴿ ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون ﴾ ، (الزخرف ــ ٦٣) وفى الحديث « الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها » (رواه الترمذى)

٤ ــ وتعنى القدرة على التمييز بين الخطأ والصواب والنافع والضار :

قال تعالى ﴿ وأنزلَ الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضلُ الله عليك عظيما ﴾ ، (النساء ــ ١١٣) وقال ﴿ يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً ومايذكر إلا أولو الألباب ﴾ ، (البقرة ــ ٢٦٩)

٥ ــ وتعني الفهم والمعرفة :

قال تعالى ﴿ ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غنى حميد ﴾ ، (لقمان ــ ١٢) وفى الحديث الشريف قال ﷺ « أنا دار الحكمة وعلى بابها » ، (رواه الترمذى)

٦ ــ وتعنى صواب الرأى وحسن النظر فى الأمور :

ففى الحديث الشريف « لاحسد إلا فى اثنتين : رجل آتاه الله مالاً فسلط على هلكته ورجل أتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها » ، (رواه البخارى)

٧ ـــ وبمعنى حسن التقدير والإدارة والتصرف :

قال تعالى ﴿ أُدعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن إن رَبكَ هو أعلم بمنْ ضَلَّ عن سبيله وهو أعلَمُ بالمهتدين ﴾ ، (النحل ـــ ١٢٥) وقال ﴿ وقتلَ داودُ جالوتَ وآتاهُ الله الملك والحكمة وعلمَّهُ مما يشاء ﴾ ، (البقرة ـــ ٢٥١) والحكمة تعنى أشياء ومفاهيم متعددة فقد تعنى مواعظ القرآن الكريم وقد تعنى الفهم والعلم وقد تعنى النبوة وقد تعنى القرآن الكريم بما فيه من عجائب وأسرار ، وفى اللغة الحكمة هى معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم(١)

وخلاصة هذه المعانى أن الحكمة لها عدة جوانب جانب نظرى يتمثل فى المعرفة والفهم والقدرة على التمييز وجانب آخر تطبيقى أو عملى يتعلق بالإدارة ونفاذ البصيرة وإيجاد الحلول الملائمة إلى جانب جوانب أخرى .

فحسن التخطيط والتنفيذ والإدارة حكمة

والتعامل مع المشكلات والعمل على حلها حكمة

ونفاذ البصيرة واستنباط القوانين حكمة

وحسن التعامل ومخاطبة الناس حكمة

وفهم المبادىء التى تحكم السلوك أساليب التعامل معه حكمة

ومراعاة الاستعدادات والفروق الفردية بين الأفراد والتعامل معها حكمة

وفهم كل فرد لدوره أو كل جماعة لدورها وإتقان الدور حكمة

والانفتاح على ماعند المجتمعات الأخرى من تنظيمات ووسائل حكمة

فالحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها .

والملاحظ فى هذه الميادين الأربعة أنها تتضمن أمورا كثيرة وأنشطة مختلفة تتعلق بالنفس الإنسانية وطرق تربيتها ومجالات تغييرها فهى تتضمن تلاوة لآيات الله باختلافها وتعددها واللفظ يتلو فيــه إيحاء أما التعبيران يزكيهم ويعلمهم الكتاب

(١) ماجد عرسان الكيلانى . مرجع سابق ، ص٥١ .

ففيهما تعديل للسلوك وفيها تعلم بما فيه من إعمال للعقل وتوجيه وهما يشيران إلى عملية بشرية تساهم فى تعديل السلوك وبما إيتضمن ذلك من مهارات فكرية وعقلية وعملية وبما يتضمن أيضا إمكانيـة ما بالأنفس التى هو أساس تغييـر المجتمع .

* * * * *

تحقيق أهداف التربية الإسلامية

المؤسسات :

تتحقق أهداف التربية الإسلامية عن طريق المؤسسات التربوية المختلفة وعن طريق وسائلها المتعددة والأساليب المتبعة فى ذلك ولاشك أن من بين هذه المؤسسات الأسرة إلى جانب المسجد والمدرسة وبعض المؤسسات الأخرى غير النظامية كوسائل الإعلام .

وتعتبر الأسرة من أهم المؤسسات التربوية فى تحقيق أهداف التربية الإسلامية إلى جانب المسجد والمدرسة وسنتناول ذلك بإيجاز إنطلاقا من أنه بتحقيق أهداف التربية الإسلامية يتغير ما بالنفس الإنسانية التى هى أساس تغيير المجتمع .

١ ـــ الأسرة :

تبرز أهمية الأسرة والدور الذى تقوم به فى حديث المصطفى ﷺ حيث قال « مامن مولود يولد إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » ، (رواه مسلم ـــ البخارى)

وهذه إشارة إلى مايمكن أن تقوم به الأسرة من تربية وتعليم للطفل . وتبرز أهمية الأسرة من كون الطفل يعتمد اعتمادا كليا على والديه لفترة طويلة فى مرحلة الطفولة وحتى فى مرحلة المراهقة ويتعلم الطفل من أسرته المعرفة المتعلقة بأنماط السلوك والعادات والقيم التى يتشربها بالمحاكاة والتقليد والتوجيه والقدوة لها أثر كبير ويتعلم أيضا كل مايرغب فيه من فضائل ويتعلم أولا وقبل كل شىء اللغة وينمو معها يوما بعد يوم وباللغة يستطيع الطفل أن يعبر عن أفكاره ومشاعره وبالتفاعل تنتقل القيم والعادات والتقاليد والأفكار والمفاهيم فالأسرة هى البيئة الطبيعية الأولى التى تتعهد الطفل بالرعاية والتنشئة الاجتماعية .

والأسرة هى إحدى المؤسسات الاجتماعية التى تغرس القيم الاجتماعية فى نفوس

الأفراد من خلال التربية ولهذا اهتم القرآن الكريم والسنة النبوية بها باعتبارها تنظيما اجتماعيا يقوم عليه النظام الاجتماعى كله وباعتباره ذات تأثير بالغ فى تربية الطفل لما للمراحل العمرية الأولى من أهمية فى تشكيل شخصيته ولقد حدد القرآن الكريم المعالم الرئيسية للعلاقات داخل الأسرة بدءا بالزواج وانتهاءا بموت الفرد وأبعد من ذلك فلقد « أرسى القرآن دعائم ثابتة وواضحة المعالم محددة لكل فرد فيها ماله وما عليه من حقوق وواجبات وضمن للجميع حياة امنة مستقرة » (١)

قال تعالى ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ ، (الروم — ٢١)

وفى الأسرة تكمن مسئولية الوالدين فى رعاية الطفل وتكوين العادات السليمة والاهتمام بصحته الجسمية والنفسية وعليها أيضا يقع عبء الاهتمام بالنواحى العقلية وطريقة التفكير والاهتمام بالناحية الانفعالية فيهتمان بانفعالاته ويعملان على معالجتها بطريقة سليمة ويعملان على أن يربى الطفل فى جو من الاستقرار والأمن حتى تتكون الشخصية السوية وقد كان ﷺ يوصى بإظهار العطف والحنان للأطفال وقد كان يعامل الحسن والحسين رضوان الله عليهما بمنتهى الرفق والحنان وقد أطال السجود مرة لأن الحسن رضى الله عنه كان متعلقا بكتفه فلم يحب أن يفزعه وقد أوصى بالمساواة بين الأبناء فى العطف والحنان حتى لاتتأثر نفسية الطفل فيتأثر سلوكه .. وقد نظر الرسول الكريم ﷺ إلى رجل له ابنان قبّل أحدهما وترك الآخر فقال له فهلاً سويت بينهما . (٢)

وقد اهتم الإسلام بالأسرة وبالتربية منذ الصغر بل نجده يركز على ما قبل ذلك فقد تدخل لمصلحة الطفل قبل أن يولد لما للوراثة من أثر عميق على الصفات الجسمية والعقلية حرصا من الإسلام على إيجاد الجو الصالح للتربية وحرصا منه على أن ينشأ الطفل فى بيئة سوية فاهتم الإسلام بالطفل قبل أن يولد ومن قبل أن يكون فى بطن أمه وذلك لما للوراثة من تأثير ولما للأم من تأثير اجتماعى فالأم تربى

---

(١) عبد الفتاح عاشور . منهج القرآن فى تربية المجتمع ، مطبعة الخانجى، القاهرة ، ١٩٧٩ . ص٣١٢ .

(٢) على القاضى .أضواء على التربية فى الإسلام ، دار الأنصار ، القاهرة ١٩٧٩ / ١٤٠٠ هـ ص ٤٧ . .

أولادها على ماربيت عليه قال ﷺ : تخيروا لنطفكم فأنكحوا الأكفاء وأنكحوا إليهم . رواه بن ماجة والحاكم والبيهقى .

وقال ﷺ : « إياكم وخضراء الدمن فيسأل سائل وما خضراء الدمن يارسول الله فيقول ﷺ : المرأة الحسناء فى المنبت السوء » (١)

ويقول (إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير) (٢)

فالطفل إذا لم ينشأ فى بيئة طيبة وفى أسرة طيبة لايمكن أن يربى التربية المنشودة فتلعب الأسرة كمنظمة اجتماعية دورا هاما فى نقل الأنماط التربوية الإسلامية لأفراد المجتمع حيث تقوم الأم بالدور الهام والأساسى فى عملية التنشئة الاجتماعية فهى تقوم بالرعاية والحضانة للصغار خاصة فى مرحلة الطفولة المبكرة بجانب أنها تقوم بدور كبير فى عملية التنشئة الاجتماعية تلك العملية التربوية الهامة ولم يترك الإسلام هذه المرحلة دون أن يضع لها الأساس فتكلم عن الحضانة والفطام والرضاعة والتعليم والتربية والصحة النفسية وعالج المشكلات التى تواجه الأسرة بما يتناسب مع خصائص كل جنس وفى توازن تام فأما الاستمرار أو الانفصال بما يفيد الأسرة وحتى لاتكون هناك آثارا على التنشئة الاجتماعية للأطفال .

والتنشئة الاجتماعية عن طريقها نقل العادات والتقاليد والقيم الاجتماعية وهى أساسية لاستمرار المجتمع وبقائه وعن طريق التلقين والمحاكاة والتعليم يتقبل الأفراد أنماط السلوك ومن هنا تبرز أهمية القدوة فى عملية التربية وخاصة فى المراحل الأولى وتعنى القدوة توافقا للقول مع الفعل والوعظ مع السلوك .

ولاشك أن تلقين القيم وغرسها فى نفوس الأطفال يجعل هناك نوعاً من التشابه فى السلوك داخل الأسرة ونوعا من الاتساق والانسجام بين الأفراد والتشابه فى سلوك

---

(١) العجلونى فى كشف الخفاء ومزيل الإلباس ١ / ٣١٩ رقم (٨٥٥) . وقال العراق فى تخريج أحاديث الإحياء : الدار قطنى فى الإفراد والرامهرمزى فى الأمثال من حديث أبى سعيد الخدرى . قال الدار قطنى تفرد به الواقدى وهو ضعيف الإحياء ٢ / ٤٢ .

(٢) رواه ابن ماجه فى النكاح ١ / ٦٣٢ وغيره

الأفراد يجعل الأسرة تعيش فى نوع من الاستقرار الاجتماعى ، (فالتشابه فى السلوك يحقق نوعاً من التضامن بين الأفراد وهذا ما عملت التربية الإسلامية على تعميمه على أفراد المجتمع من خلال تنظيم سلسلة من الضوابط الاجتماعية المختلفة التى تحكم سلوك الأفراد بدءً من عملية تناول الطعام والإخراج وحتى طريقة تنظيم العلاقات الجنسية بين الزوجين ولهذا نجد الفرد فى المجتمع الإسلامى محاطاً بأنماط من السلوك) .(١)

إن مهمة الأسرة كنظام تربوى هى تنقية وتصفية الأنماط السلوكية غير المرغوبه فى التراث الثقافى والتى لاتتناسب مع القيم الاجتماعية ولهذا تهتم التربية الإسلامية وتركز على القوة الضابطة عند الفرد حيث تربى ضميره ليصبح رقيبا على أعماله فى سره وعلانيته .

وتعمل الأسرة أيضاً على التنشئة الاجتماعية من خلال تشرب الأطفال المعايير الاجتماعية والعمل على تنظيم المراكز والأدوار لكل جنس حسب طبيعته وتركز على بعض العادات التى تضبط السلوك وتستخدم بذلك أساليب كثيرة منها الموعظة والقدوة والثواب والعقاب وذلك لكبح جماح بعض الرغبات التى قد تزيد عن الحد ، « والنظام الأسرى طبقا للتوجيهات الإسلامية لايصل إلى ذلك باستخدام القوة فليس هدفه الانتقام من الأطفال وإنما الوسيلة هى الحب المتمثل فى الأسرة والمودة التى تربط الأم والأب والأطفال . » (٢)

والتربية الإسلامية تعمل على مراعاة طبيعة الطفولة دون مبالغة وتدعو إلى الجمع بين الرفق فى الأطفال ومراعاة طفولتهم وبين حسن توجيههم ورفع معنوياتهم والنهوض بهم ولقد عملت التربية الإسلامية على .

١ ــ توجيه الأطفال وتأديبهم :

(٢)تقويم أخطاء الأطفال .

---

(١) Reubrn levery , The Social Structure of Islam , Cambridge Univeristy Press , 1969 ; P . 100 .

(٢) محمد قطب ، مرجع سابق ، ص ١٤٦

(٣) معاملة الأطفال حسب طبيعتهم : [١]

وقد قال ﷺ « إن الله رفيق يحب الرفق ويعطى على الرفق مالا يعطى على العنف ومالايعطى على سواه » ،(رواه مسلم)

وعلى الأسرة يقع عبء تعليم الأطفال وتوجيههم فى عادات الأكل والاستئذان وبعض العادات السلوكية الفردية والاجتماعية. إلى جانب أن الأسرة عليها أن تعمل على إشباع حاجات الأطفال كالحاجة إلى اللعب والحاجة إلى الانتماء والحاجة إلى المحبة والحاجة إلى التقدير والاحترام والحاجة إلى الأمن والسلامة .

وتعالج تلك الحاجات فى ضوء توجيهات التربية الإسلامية . إن عدم إشباع هذه الحاجات يسبب مشاكل شخصية واجتماعية كبيرة .

إنه عن طريق التنشئة الاجتماعية يتم اكتساب الأطفال السمات الاجتماعية للمجتمع الإسلامى والتى تميزه عن غيره ومهمة الأسرة تثبيت ذلك بالقدوة الحسنة . وتلعب الأم دورا هاما فى التوجيه فى السنوات الأولى من حياة الطفل وخاصة إذا ماحدثت هناك مخالطة بين الصغار فى اللعب وتصبح مهمة الأم أكثر صعوبة وخصوصاً عندما تخرج إلى العمل ولاغضاضة من الناحية الأخلاقية فى أن تعمل خاصة الأعمال التى تتفق وطبيعتها شريطة ألا يتعارض ذلك مع مهمتها فى التربية والتنشئة الاجتماعية للأطفال فى مراحل العمر الأولى فإذا تعارض العمل مع التنشئة الاجتماعية فإن التنشئة الاجتماعية أهم بكثير حاضراً ومستقبلاً .

إن الأسرة لاتحمل وحدها العبء فى مجال التربية والتنشئة الاجتماعية وإنما هناك العديد من المؤسسات الأخرى ولكن دور الأسرة أهم أو أكثر أهمية خصوصاً وأن الطفل يعتمد عليها فى مراحله الأولى كلياً إلى جانب أهمية تلك المرحلة فى تشكيل نفسية الطفل وشخصيته .

٢ ــ المسجد :

يعتبر المسجد عاملًا أساسياً ومهماً لنشر التربية الإسلامية ويختلف دور المسجد

---

(١) عبد الرحمن النحلاوى ، التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة . مكتبة أسامة ، الرياض . ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢ ، ص١٣٣ ــ ١٣٥ .

فى التربية عن دور العبادة فى الديانات الأخرى بمقدار اختلاف الديانات الأخرى عن الإسلام فليس هناك فى الدين الإسلامى تلك الازدواجية بين ماهو دينى وماهو دنيوى فتظهر قيم الدين فى معاملات الدنيا ويظهر الدين فى كل أمور الدنيا الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وتاريخ التربية الإسلامية يرتبط ارتباطاً كبيراً بالمسجد حيث تتجسد فى تلك المؤسسة التربوية قوة الإسلام وفعاليته .

وينبغى الإشارة إلى أنه فى بداية تكوين المجتمع الإسلامى كان الأثر التربوى للمسجد أكبر من الأثر التربوى للأسرة حيث كان الهدف الرئيسى تغيير تلك النفوس من الجهالة والضلال إلى النور والهداية والعلم ، ويكمن دور المسجد التربوى فى أنه لاتحده مرحلة عمرية معينة فهو للكبير والصغير على السواء ويمتد أثره إلى كل مراحل العمر ويلعب دوراً كبيراً فى تحقيق هدف استمرارية التربية .

وإذا كانت العقيدة هى العامل الأساسى فى تغيير ما بالأنفس لتتغير المجتمعات فإن مهمة المسجد الأساسية تكمن فى غرس العقيدة وتقويتها .

ولقد مر دور المسجد بمراحل مختلفة عبر العصور فقد كان يمثل السلطة التشريعية والتنفيذية فى الإسلام فهو مكان للعباده ومكان لاجتماع الناس لمنافشة الأمور العامة الدنيوية وهو مكان لعقد الندوات واجتماع للجند ومقر للقيادة حيث تعبئة الجيوش ، ومقر للحكم ومدرسة ومحكمة وحلقات العلم « ولقد قامت حلقات الدراسة فى المساجد منذ أن نشأ وأستمر كذلك على مر السنين والقرون فى مختلف البلاد الإسلامية دون انقطاع » (١)

ولم تقتصر رسالة المسجد فى أى عصر من العصور على التعليم فقط بل كانت له أدوار كثيرة ففيه يتعلم الصغار بالقدوة الحسنة وفيه يتعلم الصغار والكبار بالموعظة والقصص القرآنى وفيه تقوى الروابط الاجتماعية وتتوثق الروابط الأخوية . « وروح المسجد روح تكامل واتحاد .. واستمر المسجد يؤدى دوره التربوى والتعليمى فى جمع العصور الإسلامية .. وحتى عصرنا الحاضر .. واقتصر حين انتشرت

---

(١) احمد شلبى ، تاريخ التربية الإسلامية ، النهضة المصرية . القاهرة . ١٩٧٤ . ص١٠٢ .

على بعض نواحى التربية »[1]

وبدأ المسجد يلعب دوراً تعليمياً وتربوياً واجتماعياً إلى جانب دوره الدينى مرة أخرى حيث بدأ يعج بالدارسين فى مختلف الأعمار وذلك لنشاط بعض الجمعيات الدينية والخيرية ، إلى جانب أنه مازال يحتفظ بالدور الكبير فى تلعيم القرآن الكريم وحفظه .

٣ ــ المدرسة :

تلعب المدرسة دوراً هاماً فى التربية الإسلامية حيث أن البيئة الاجتماعية فى المدرسة أوسع من بيئة المنزل وأكثر تنوعاً وأكثر ثراءاً فيما تقدمه من خبرات مضبوطة وغير مضبوطة .

والمدرسة عامل أساسى من عوامل التربية حيث المرحلية والتنظيم وحيث دورها المميز فى غرس المفاهيم والقيم والمعتقدات وصقل الميول والاتجاهات لدى التلاميذ وحيث ماتقدمه من شتى أنواع العلم والمعرفة من قبل أفرادأعدوا خصيصاً للقيام بهذه العملية وأعدوا خصيصاً لتحقيق الأهداف التى أنشأت من أجلها المدارس .

ومن الممكن أن تكون المدرسة لهاأدوارا مكملة لدور المسجد ودور الأسرة خصوصاً إذا كانت التربية تسير وفق نظام موحد وإذا كان التعليم يسير على أساس تحقيق أهداف التربية الإسلامية والعقيدة الإسلامية ومن الممكن بيان دور المدرسة فى الآتى :

إن المدرسة هى المكان الذى يمكن أن نساعد فيه الأطفال على تنمية عقولهم وحواسهم بطريقة منظمة ومخططة ومنسقة وذلك بتهيئة الجو المناسب لهم من حيث حرية السؤال والتعبير عن الآراء والمناقشة والإفصاح عن آرائهم بما يتناسب مع مستواهم العقلى .

وهى المكان الذى يمكن فيه إشباع رغبات الأطفال حيث يميلون فى المراحل

(١) على القاضى ، مرجع سابق ، ص٥١ .

الأولى إلى اللعب الذى يمكن أن يتدرج إلى هذا النوع من اللعب الذكى الذى يتطلب تفكيرا مما يساعد على تنمية التفكير، إلى جانب أهمية المحاكاة والمقارنة والتعاون والمشاركة والانتماء إلى فريق والتعود على النصر والهزيمة والتعلم من تلك المواقف .

والمدرسة هى المكان الذى يبدأ الفرد فيه بالشعور بتحمل المسئولية شيئاً فشيئاً على طريق التعود على مواجهة المشكلات والتخطيط لها وحلها بما يتناسب مع المراحل العمرية التى يمر بها الأطفال .

يمكن فى المدرسة تهيئة الجو المناسب الذى يشعر فيه الأطفال بالراحة النفسية والطمأنينة وذلك لاستعمال عقولهم والتفكير المتزن المبنى على حقائق علمية وقواعد علمية سليمة حتى يتعرفوا على سنن الكون وقوانينه وعلى العلاقات السببية وربط الأسباب بالمسبب .

ــ المدرسة هى المكان الذى تتنوع فيه الخبرات والأنشطة المختلفة لكى تقابل الفروق الفردية التى توجد بين الأفراد ولكى تقابل النمو العقلى والنضج الانفعالى والنمو الجسمى الذى يمر به الأطفال مما يساعد على تنمية الجسم السليم والعقل السليم .

ــ فى المدرسة يمكن إبراز أهمية العبادات وممارستها فى تعلم الأطفال وتربيتهم وتعديل سلوكهم وتغيير ما بأنفسهم .

ولاشك أن هناك مؤسسات تربوية أخرى ينشئها المجتمع وهذه المؤسسات تلعب دوراً هاماً فى تربية الأفراد فى تحقيق أهداف التربية الإسلامية إذا ما كانت تلك المؤسسات معدة لتحقيق تلك الأهداف إلا أن المدرسة يقع عليها العبء الكبير وخصوصــاً أن الطلاب يقضون فيها أغلب أو قاتهم .

وفيما يتعلق بدور المدرسة فى ترسيخ القيم الخلقية فإن المدرسة بحكم أنها مؤسسة تربوية تقوم على تربية النشىء يقع عليها العبء الأكبر فيما يتعلق بتلك القيم والأفكار والمبادىء وقد تقوم بالآتى :

ـ قد تستخدم المدرسة طرقا مباشرة ومقصودة وذلك بتناول هذه القيم صراحة فى مواد الدارسة وشرحها وتأكيد ضرورة التمسك بها ويمكن استخدام القصص ومناقشة ماجاء بها وأخذ العبر منها ومعرفة السلوك الحسن الذى جاء فيها والسلوك السيء نتيجة ذلك .

ـ يعتبر النشاط المدرسى وسيلة هامة وفعالة فى ترجمة المعلومات إلى واقع وإلى سلوك من خلال الممارسة ومن خلال الأدوار والمراكز التى قد يتقمصها الأطفال تترسخ القيم ويتعلم الأطفال قيماًجديدة وقد يتم ذلك عن طريق توجيه عملية التفاعل الاجتماعى .

ـ قد تمارس المدرسة الثواب والعقاب والترغيب والترهيب فى تعليمها للقيم وفى تعليم الأطفال بعض القيم الخاصة بالمراكز الاجتماعية وتستخدم أساليب مختلفة فى المدرسة لتثبيت بعض أنواع السلوك المرغوبة مثل إظهار الموافقه والمرح والجوائز وقد يحدث العكس فيما يتصل بالسلوك والقيم غير المرغوبة ومن الممكن للمدرسة أن تقدم نماذج حية للسلوك إما بالحديث عنها ومناقشة خصائصها بقصد الترغيب فى هذه الأنماط السلوكية المقبولة والاقتداء بها أو عرضها عرضاً محايداً وجعل الأطفال يصلون إلى مضامين مختلفة بأنفسهم :

ـ إن التوجيه الدائم والتربية السليمة أساس فى تكوين الاعتقاد السليم إلاأنه من الأفضل التبكيرفى غرس القيم والمثل والمبادىء فى نفوس الأطفال لأن هذا لايحتاج فى البداية إلى عناء. إلى جانب أن ضرب الأمثال والقدوة العملية وبيان ثمرات القيم وبيان أضرار مخالفتها يثير الطاقات الخيرة وإذا كان الترغيب وسيلة محببة فى التربية فإن للترهيب ضرورة وله أثر كذلك ولهذا اهتمت التربية الإسلامية بأسلوب الترغيب والترهيب .

ـ إن تنمية التفكير العلمى لدى الطلاب فى المراحل التعليمية المختلفة وتطبيقة فيما يواجههم من مشكلات وفيما يتعرضون له من قضايا تساعدهم على التصرف فى المواقف المختلفة وعلى حسن الاختيار وتساعدهم أيضا فى عملية التحليل الأخلاقى قبل اتخاذ القرارات .

ــ وتجدر الإشارة هنا إلى أهمية التعاون بين البيت والمدرسة حتى لايهدم أحد الطرفين مايبنية الطرف الآخر ولو أن الأسرة تعاونت مع المدرسة فى تحصين الطلاب بالقيم الخلقية لتحقق الكثير من الأهداف فيما يتعلق بترسيخ القيم والمفاهيم والأفكار ولايمكن إغفال أثر المؤسسات الإعلامية بهذا الصدد وعلى أية حال فالتنسيق مطلوب لكى تتم العملية بكفاءة وفعالية .

ــ على المدرسة بحكم أنها نقطة البداية للتغير الفكرى وتهيئة النفس للتغير وتقبله والعمل من أجله عليها أن تنمى القيم الخلقية بين الناشئين وعليها أن تحول تلك القيم والأفكار من مجرد شعارات إلى مظاهر وأنماط سلوكية والمشكلة ليست فى مقدار مايستوعبه التلاميذ من قيم وأفكار ولكن فى كيفية بناء هذه القيم وجعلها جزءاً من شخصيتهم وخير طريقة لتعلم القيم تكمن فى المواقف الحية الواقعية للناشئين فى المدرسة إلى جانب الأساليب الأخرى .

ــ يحتل المعلم مكان الصدارة بين القوى المؤثرة على الناشئين وفى بناء القيم والأفكار فهو نموذج حى مؤثر متحرك بينهم وهنا تبرز أهمية القدوة فى التربية .

وللمعلم دور كبير فى غرس القيم والأفكار بين الطلاب إنه تأثير إنسان فى إنسان مما يملكه من سلطة تسمح له بإحداث التغيير فى سلوك الطلاب إلى جانب أن الطلاب يتأثرون بالسمات البارزة والسلوك المتميز للمعلم ويتعلمون منه القيم والأفكار وإلى جانب ذلك فإنه قد يكون بالنسبة لهم مثلاً أعلى يقلدونه ويحتذون به فى سلوكه وتصرفاته .

ــ المعلمون ممثلون للقيم فسلوكهم ومركزهم الاجتماعى يعكس قيما معينة وإن كانوا يختلفون فيما بينهم إلا أنهم يتشابهون فيما يعكسون من قيم مثل قيمة النظام والمعرفه واحترام الكبير

وتبدو العملية أكثر تأثيراً إذا ماكان هؤلاء المدرسون يمارسون أدوارهم ويسلكون من منطلق إسلامى وعلى أساس من القيم والأفكار الإسلامية

وقد يظن البعض أن القيم الخلقية وتنميتها من وظيفة مدرس الدين فقط

ولاتدرس إلا فى حصة التربية الدينية وهذا مفهوم ليس صحيحا فتنمية القيم الخلقية مسئولية جميع القائمين على شئون التربية فى المدرسة وخارجها بل مسئولية المجتمع بأسرة ومؤسساته المختلفة .

* * * * *

التربية الإسلامية وتغيير الطبيعة الإنسانية

للتربية دور فى تغيير الطبيعة الإنسانية . والإنسان فى نظر الإسلام مخلوق متميز ليس روحاً فقط ولاجسداً فقط فالطبيعة الإنسانية فى نظر الإسلام طبيعة مزدوجة مكونة من حقيقتين إحداهما روحية سماوية والأخرى مادية أرضية .

ومن هذه النظرة الدقيقة لم تتجه التربية فى الإسلام لجسم الإنسان دون روحة ولالروحه دون عقله وإنما اهتمت بكل الجوانب لأنها تحرص على أن يكون هناك اتساق وتكامل واتزان بين كل الجوانب الروحي والعقلى والمادى . ومشيراً إلى هذا التركيب لطبيعة الإنسان قال تعالى :

﴿ الذى أحسن كُلَّ شىء خَلَقه وبدأ خلقَ الإنسان من طين . ثم جعلَ نَسْلَه من سلالة من ماء مهين . ثم سواهُ ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السَّمع والأبصار والأفئدة قليلاً ماتشكرون ﴾ ، (السجدة ـــ ٧ ـــ ٩)

﴿ وإذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون . فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين ﴾ (الحجر ـــ ٢٨ ـــ ٢٩)

فالإنسان وطبيعته فى منهج الإسلام هو خلق الله سبحانه وتعالى الذى أعلن خلقه بنفسه وأسجد له ملائكته كما توحى الآيات السابقة وقلده أمر الخلافة فى الأرض ﴿ وإذا قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة ﴾ ، (البقرة ـــ ٣٠) وعلمه وأدبه ، قال تعالى ﴿ الرحمن ـــ علم القرآن خلق الإنسان علمهُ البيان ﴾ ،(الرحمن ١ ـــ ٤)

وقال ﴿ وعلم آدمَ الأسماءَ كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ماعلمتنا إنك أنت العليم الحكيم ﴾ ، (البقرة ٣١ ـــ ٣٢) وهداه إلى الطريق المستقيم ووضح له طريق الخير والشر ﴿ وهديناه النجدين ﴾ (البلد ـــ ١٠)

ومنحه حرية الإختيار ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة ﴾ (المدثر ـــ ٣٨)

وأعطاه الإرادة ليفرق بين الحق والباطل وبين الفجور والتقوى وبين الهدى والضلال قال تعالى ، ﴿ ونفس وماسواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها (الشمس ، ٧ — ١٠) وزوده بالإدراك ووسائله ﴿ قل هو الذى أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدةَ قليلاً ما تشكرون ﴾ ، (الملك — ٢٣) وكرمه فقال ﴿ ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيباتِ وفضلناهمُ على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾ ، (الاسراء — ٧٠) ووضع له منهجا للتربية يتناسب مع طبيعة النفس الإنسانية كما وصفها الإسلام وقابليتها للخير والشر فألهمها فجورها وتقواها .

هذا المنهج التربوى يتناول الإنسان بالتوجيه والرعاية من تاريخ ولادته ويتتبعه طفلا يافعا وشاباً وكهلاً حتى آخر حياته هذا المنهج المتكامل وضعه خالق الجهاز الآدمي وموجده والخبير بكل ذرة من ذرات تكوينه وبكل خليه من خلاياه وبكل خلجه من جلجاته والعالم بما تخفيه نفسه وماتعلنه ﴿ ألا يعْلَمُ من خلقِ وهو اللطيفُ الخبير ﴾ ، (الملك — ١٤) .

وفى الطبيعة الإنسانية ونتيجة لهذا التركيب العجيب نجد غرائز وصفات يرجع بعضها إلى الطبيعة الروحية ويرجع بعضها إلى الطبيعة المادية ويرجع بعضها إلى خاصية هذا التركيب « والروح وإن كانت شيئا غامضا إنفرد بمعرفته وحقيقته الله سبحانه وتعالى إلا أنها حقيقة لايمكن إنكارها ذلك لأن نتائجها ليست خفية عنا وإنما هى مدركة ومعلومة لدينا فالاستشفاف عمليه من عمليات الروح .. والحكم التنبئوى عملية من عمليات الروح .. واتصال الإنسان بالغيب المحجوب عن حواسه ... ونحن إن كنا لاندرك كيف يتم هذا الاستشفاف وكيف يتم هذا التخاطر وكيف يتم الحكم التنبئوى فإن عدم إدراكنا لذلك لايسوغ لنا أن ننكر وقوعه .. تماماً كما يحدث فى عملية التذكر والإدراك فنحن لانعرف كيف التذكر وهو عملية من عمليات العقل ... ولكن عدم معرفتنا كيف والإدراك لايحملنا على إنكارها فهى حقيقة .. والإسلام ينظر إلى الروح الوسيلة التى تصل الإنسان بخالقه ومن ثم يهتم بها كل الاهتمام وبطبيعته

التوجيه والرعاية » .(١)

ونتيجة لهذا التركيب الخاص للطبيعة الإنسانية نجد أن هناك « دوافع فطرية بعضها مادى حى وبعضها روحى معنوى وبعضها الثالث مختلف عن هذا وذاك وهو خاصة بالإنسان ناتجة عن ذلك التركيب الخاص .. وبهذا التركيب العجيب فى الطبيعة الإنسانية يتحقق التنسيق من القوى الماديه والروحية فى طبيعة الإنسان وبين النظام الروحى والمادى فى حياته الأخلاقية

وبالتوجيه العلمى الدقيق لهذه القوى والميول المادية والروحية والميول الخاصة الناتجه عن امتزاجهما وتركيبهما تتم التربية الإسلامية الأساسية ... ولهذا .. فإن فكرة كون الإنسان أكبر من مجموع أجزائه لها أهمية كبيرة فى ميدان دراسة الإنسان وتصوره بصورة متكاملة ، ثم فى تربيته وفقاً لتلك الدراسة والتصور المتكامل لجميع جوانبه المتكاملة .(٢)

وتذهب كثير من الدراسات مع فكرة تصور الإنسان كصورة كاملة شديدة التعقيد لايمكن دراستها فقط من جانب واحد أو من تجميع هذه الجوانب سوياً أنه أكثر من ذلك فيخرج محمد لبيب النجيحى بالمضمون التالى بعد جولة مع النظريات والآراء التى تتناول الطبيعة الإنسانية « ننهى بحثنا للنظريات المختلفة فى الطبيعة الإنسانية والمفاهيم التى حاول كثير من الفلاسفة أن يردوها للطبيعة الإنسانية متعللين بأسباب مختلفة حقيقية وغير حقيقية ننهى هذا بنظرة إلى الطبيعة الإنسانية تعتمد على التكامل .. نظرة كلية تتسع لتشمل جميع العوامل المكونة لها ، وذلك نظراً لظهور أفكار واتجاهات جديدة وكشوف علمية أدت إلى أن تختلف النظرة العلمية للطبيعة الإنسانية اختلافاً أدى إلى تطبيقات جديدة فى التربية .. لأن هذه الطبيعة متكاملة لاتتكون من جسم مضاف إليه عقل ولكن

---

(١) أحمد عبد الرحمن الشريف ، « مفهوم التربية الإسلامية » . محاضرات الثقافة الإسلامية ، كلية الشريعة ، قسم الثقافة الإسلامية ، الدراسات العليا . مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، ١٤٠٣ هـ ص ١٢ — ١٣ .

(٢) يوسف مصطفى القاضى ومقداد يالجين ، علم النفس التربوى فى الإسلام دار المريخ ، الرياض ، ١٤٠١هـ—١٩٨١ م ، ص٢٩ .

الطبيعة الإنسانية أبعد من ذلك فالكل أكبر من مجموع أجزائه » (١)

أما الكس كارل فى كتابه « الإنسان ذلك المجهول فيقول « إن الإنسان كل لايتجزأ شديد التعقيد ومن المستحيل إيجاد فكرة مبسطة عنه فالإنسان الذى يعرفه الاخصائيون ليس الإنسان المحسوس أو الإنسان الحقيقى ، إنما هو رسم تخطيطى يتكون من التخطيطات التى تسفر عنها الطرائق الفنية لكل علم من العلوم ، إنه فى آن واحد الجثة التى يفحصها علماء التشريح ، والشعور الذى يراقبه علماء النفس وأساتذة الحياة الروحية والشخصية التى تنكشف لكل واحد منا عندما يتأمل ذاته ، إنه المواد الكيمائيه التى تكون الأنسجة البدنية وأمزجة الجسم إنه المجتمع الهائل من الخلايا المجموعة من الأعضاء والشعور التى تدوم زمنا والتى يحاول علماء الصحة والمربون توجيهها صوب كامل نموها ، إنه ذلك الكائن الذى لابد من أن يتغذى بلا انقطاع حتى يمكن أن تعمل الآلات التى هى عبد له . وهو إلى جانب هذا كله الشاعر والبطل والقديس ، إنه ليس فقط الكائن المعقد أشد التعقيد الذى يحلله العلماء بوسائلهم الفنية الخاصة بل هو أيضا جماع ميول البشر وتهيؤاتهم ورغباتهم . (٢)

إن الإسلام لايقتصر فى نظرته وتحليله للطبيعة الإنسانية على جانب واحد فقط ولاتقتصر نظرته على زاوية واحدة فقط عقلية أو جسمية أو روحية إن الإنسان هو مجموع كل هذا إلى جانب خاصيته كإنسان وهذا لايمكن أن يتصورها عقل بشرى ولا يعلم كنه الإنسان وطبيعته إلا الخالق سبحانه وتعالى ﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾ (الملك آية ١٤) وطبقا لهذه النظرةلمكونات الطبيعة الإنسانية نجد أن الدوافع والميول بعضها يكون ناتجا عن التكوين المادى وأخرى ناتجة عن التكوين الروحى ودوافع أخرى ناتجة عن إمتزاج التكوينين معا ودوافع إنسانية تتعلق بهذا المخلوق الذى لا يعلمه إلا الله ولما كانت هذه الدوافع لابد أن تشبع فإن الدين الإسلامى قد

---

(١) محمد لبيب النجيحى ، مقدمة فى فلسفة التربية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ص٢٤٦ .

(٢) الكس كارل ، الإنسان ذلك المجهول (ترجمة شفيق أسعد فريد) ، مكتبة المعارف بيروت ١٩٨٠ ، ، ص٢١ .

جعلها مشروعة ووضع لها حدودا وشروطا لكى لا يحدث إفراط أو فساد . ونظرة الإسلام فى إشباع الدوافع تنطلق من مبدأ التوازن الذى لايخل بالشخصية ومن هذه الدوافع الدافع الفطرى إلى التدين قال تعالى ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون ﴾ (الروم — ٣٠) .

هذه الفطرة هى قوة فى طبيعة الإنسان تدفع الإنسان إلى معرفة الله سبحانه وتعالى والالتجاء إليه ويجد فى ذلك الانشراح والطمأنية . ولقد جاءت التربية الإسلامية منظمة لأفعال الإنسان وحريته ومنظمة لدوافعه وميوله وغرائزه المختلفة وذلك بتوجيهها لتكوين شخصية إنسانية متكاملة متسقة تتجه إلى غاية واحدة .

وللتربية دور فى تغيير الطبيعة الإنسانية ويدل على ذلك كثير من الآيات والأحاديث النبوية الشريفة فقد قال ﷺ فى حديثه الذى رواه البخارى ومسلم « مامن مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه » ولهذا فالفطرة تقبل التوجيه والتعديل وفى الحديث القدسى (إنى خلقت عبادى حنفاء كلهم وأنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما حللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بى مالم أنزل به سلطانا . رواه مسلم)

إذن فللتربية دور ومنهج والمربى يستطيع تهذيب سلوك الناس ونفوسهم وتزكيتها بالأساليب المختلفة التى أوضحتها التربية الإسلامية التى تؤكد أن العملية التى يتم بها ذلك عملية بشرية فى إطار سماوى وليس أدل على ذلك مما فعلته التربية الإسلامية فى تغيير المجتمع الجاهلى بتغير مابنفوس أفراده وما بطبيعتهم وهذا يوضح أهميه الدور الذى يلعبه الأفراد فى تغيير طبيعتهم أو السيطرة عليها : قال تعالى : ﴿ فاتقوا الله مااستطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيراً لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ ، (التغابن — ١٦) .

وقال ﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنةهى المأوى ﴾ ، (النازعات — ٤٠ ، ٤١)

وفيما يتعلق بإمكانية السيطرة على الدوافع والنزعات قال ﴿ الذين يُنفقونَ فى

السَّراء والضَّراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يُحبُّ المحسنين . والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون .﴾ ، (آل عمران ١٣٤ ـــ ١٣٥)

إن الرسول ﷺ قد بعث مربياً ومعلماً[(١)] ، رافعاً لواء التعليم والتزكية واضعاً المنهج ومطبقاً لمنهج الله سبحانه وتعالى فكان قدوة اقتدى به الصحابة وتخرجوا على يديه فغيروا مابأنفسهم فتغير مجرى التاريخ .

لقد علم الرسول ﷺ وربى ودعا وهذب النفوس وزكاها وغير مابها وعدل سلوكها بالأساليب التربوية المختلفة .

إن الإنسان لديه القدرة على تغيير ما بنفسه وأن يكبح جماح رغباته وإذا لم يكن كذلك فمن غير المعقول أن يطلب منه ذلك ولايكلف الله نفساً إلا وسعها وإذا لم يكن ذلك من إمكانية البشر فلماذا هذا الاختلاف بين البشر وبين المجتمعات ولماذا الفروق الفردية بينهم إن للإنسان دوراً هاماً رئيسياً .

إن البعض لديهم استعدادا للتربية أكثر من غيرهم ويرجع ذلك لطبيعة النشأة فللإنسان دور ولهذا وضع الإسلام المبادىء والأسس للتربية .

إن هناك إمكانية لتهذيب الطبيعة الإنسانية وتربيتها وتوجيهها حيث يراد لها أن تُوجه فى ضوء التعاليم الإسلامية وفى ضوء ما اعترف به الإسلام من غرائز ودوافع فطرية ضرورية لدوام الحياة وتكوين الشخصية السوية . الطبيعة الإنسانية متكاملة وينبغى أن يتم التعامل معها من هذا المنطلق فلا يطغى جانب من جوانبها على الآخر .

والمنهج التى تتبناه التربية الإسلامية ينبغى أن يكون قائماً على أساس الفروق الفردية والتدرج حسب مراحل نمو الدوافع والميول ومن هنا تكون التربية الإسلامية

---

(١) للمزيد من التفاصيل راجع : محمد رأفت سعيد ، الرسول المعلم ومنهجه فى التعليم دار الهدى للنشر والتوزيع الرياض ١٤٠٢ ـــ ١٩٨٢ .

قائمة :

« على أساس مدى استعداد قبول هذه الطبيعة للتغيير والتهذيب والترقية والنمو ومدى طاقتهاالتحمل التدريبات المختلفة بحسب مراحل نمو دوافعها وقدراتها المختلفة فى كل مرحلة من مراحل نموها الطبيعى مع ملاحظة طبيعة سيكلوجية الفروق الفردية فى كل مرحلة من تلك المراحل » .[1]

وقد قال رسول الله ﷺ « ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لاتبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة » ، (صحيح مسلم)

* * * * *

(١) يوسف القاضى ومقداد يالجين ، مرجع سابق ، ص٨٣ .

التربية الإسلامية وترسيخ القيم والأفكار والمفاهيم وتغيير مابالأنفس

تلعب التربية دوراً هاماً فى ترسيخ القيم والأفكار والمفاهيم عند الأفراد ولاشك أن سلوك الإنسان ينشأ عن مابنفسه بغض النظر عن صحة أو صواب أو خطأ ما بالنفس فكما هو معروف أن أعمال الناس تأتى نتيجة لما يحملون فى أنفسهم ولو كانوا يحملون أوهاماً فإنه يسلك طبقاً لذلك فتسلط الأوهام على الإنسان يحول بينه وبين رؤية المشكلة على حقيقتها .

ووضع الأفكار بالأنفس ينتج عنه عملًا أو سلوكاً معيناً وتغيير ما بالنفس يجعل سلوك الإنسان لامحالة يتغير وإذا تغير فسيتحقق التغيير الآخر الذى يخص الله سبحانه وتعالى .

والقيم هى أحد المحددات الهامة للسلوك وهى ضوابط اجتماعية تضبط التفاعلات والعلاقات بين الأفراد وهى التى تحدد السلوك المرغوب والسلوك غير المرغوب (فالقيم هى الأفكار التى تحدد ما هو حسن مقبول وما هو سىء مرفوض وهى متفق عليها بين غالبية أعضاء المجتمع ويولونها احتراماً عميقاً ويعملون على استمرارها وتوارثها)[(١)]

فالقيم تكون جزءًا لايستهان به فى الإطار المرجعى للسلوك

وترجع أهمية التربية والدور الذى تلعبه فى الطريقة التى يمكن أن يحصل بها الأطفال على قيمهم فهم يحصلون عليها من خلال التفاعل والتقليد والمحاكاة ومن خلال القدوة أى أنها تنتقل إلى حدما بما يمكن أن يطلق عليه العدوى الاجتماعية ؛ فالكبار يتدخلون منذ البداية فى بناء النظام القيمى للأطفال سواء كان ذلك من خلال الأسرة أو من خلال المدرسة إلى جانب التفاعل الاجتماعى فالطفل يتشرب القيم تدريجياً من خلال عملية التنشئة الاجتماعية والتربية .

والدين الإسلامى هو المصدر الأساسى للقيم والأفكار المختلفة التى تحكم التربية

(١) سيد أحمد عثمان ، علم النفس الاجتماعى التربوى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٠ ص٢٨ .

الإسلامية والتى تضبط سلوك الأفراد ، والنفس البشرية بفطرتها التى خلق الله الناس عليها تقبل هذه القيم التى جاء بها الدين الإسلامى وهذه القيم تساير تلك الفطرة وتقويها وتنميها وتزكيها وتهذبها وتنظمها وتسخرها لإصلاح الفرد والمجتمع ولاينكر الدين

الإسلامى تلك القيم التى تتكون نتيجة للتفاعل الاجتماعى ولكن هناك حدود وهناك ضوابط ؛ فلابد أن تكون تلك القيم متسقة مع شرع الله وألا تصطدم مع ما أمر الله ورسوله وألا تصطدم مع نص شرعى .

وسواء كانت القيم ثابتة أو متغيرة نتيجة للتفاعل الاجتماعى فإن كليهما يحتاج إلى تربية حتى ينتقل من جيل إلى جيل وحتى يكتسبه الأفراد ، وحتى يكون إطاراً مرجعياً يحكم سلوكهم ؛ فالشخص فى حياته بصفة عامة تسيطر على سلوكه القيم ويقوم كل شىء فى ضوء القيم السائدة عنده ؛ فسلوك الشخص هو تعبير وترجمة عن ما فى نفسه .

إن الفرد هو الأساس والنصر يكتب فى عقول الأفراد ونفوسهم والفرد فى الإسلام هو صانع النصر وهو يحرك الأحداث مثلما هو باعث العقيدة وبقدر إيمان الأفراد وتربيتهم يكون سلوكهم وهذا يعنى الاهتمام بالجوهر لابالمظهر وتجسيداً لجانب الكيف على الكم فالعقل المفكر الذى يدير أساليب استخدام السنن هو الأساسى .

ومن أهم عناصر القوة فى أى مجتمع هو الفرد المتمتع بالشخصية المتزنة المستقلة الواعية وبناء الدول والمجتمعات يقوم على أسس من :

القوة الروحية ، العقيدة ، فى نفوس الأفراد .

القوة العلمية والفكرية فى عقول الأفراد .

القوة النفسية بتربية الإرادة والعقل واستقلاله لاتبعيته .

القوة المادية بالتخطيط المتبصر للحياة بكل جوانبها

وهذه كلها أسس تكتب فى عقول الأفراد ونفوسهم وبدونها لايمكن أن يتحقق التغيير المنشود

وموضوع التربية هو الإنسان بعقله ووجدانه ومشاعره وجسمه وقيمه الاجتماعية المختلفة ، والتربية ذات صبغة اجتماعية فهى الوسيلة التى يستخدمها المجتمع لكى يشكل أفراده ولنا فى التاريخ عبرة فلقد أحدثت التربية الإسلامية تغيراً جذرياً ملحوظاً فى المجتمعات شملت كل الجوانب الاجتماعية والفكرية فى حياة الأفراد .

ولاشك أن هناك أسباباً كثيرة لنجاح التربية الإسلامية فى تغيير تلك المجتمعات ذلك أنها تربية شاملة ومتكاملة تتمشى مع الفطرة الإنسانية السليمة وهذا مكنها من تحقيق بناء إجتماعى متكامل على نسق فريد فى فترة وجيزة . لقد نتج عن تلك التربية الإسلامية أن تغيرت المجتمعات بل إننا يمكن أن نقول إن التربية الإسلامية قد غيرت مجرى التاريخ . ولقد ركز علماء التربية على أهم الجوانب فى التغيير وهو الإنسان وأكدوا على أهمية الجانب النفسى فقد اشتد اهتمامهم به وتأكيدهم له بإعتباره المحور الأول للتغير الاجتماعى وباعتباره عصا التحويل ، فالمبدأ ومعرفته والإيمان به والإرادة القوية من خصائص النفس الإنسانية وعليها تبنى المجتمعات وهو ما عبر عنه رسول الله ﷺ فى الحديث الشريف :

(يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها قيل أو من قلة نحن يومئذ يارسول الله ؟ قال : لا ، إنكم يومئذ كثير لكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من قلوب أعدائكم المهابة منكم وليقذفن فى قلوبكم الوهن . قيل وما الوهن يارسول الله ؟ قال حب الدنيا وكراهية الموت)

إن الرسول الأمين ﷺ قد بين أن سبب ضعف الأمم وذلة الشعوب هو وهن نفوسها ولكى تتغلب على ذلك لابد من تهيئة نفسية وتربية إسلامية تغير الأفراد فتتغير بهم المجتمعات .

وعندما جاء الإسلام عملت التربية الإسلامية على تهذيب سلوك الإنسان بمنحه قيماً إجتماعية جديدة وأنماطاً سلوكية لم يعرفها أفراد المجتمع الجاهلى .

ـ اهتمت التربية الإسلامية بالقيم الأخلاقية تلك الخطوط العريضة التى تحكم وتنظم السلوك الاجتماعى والتى تحمى المجتمع من التصدع الاجتماعى فأذكت وظيفة الضمير ليقف حارساً يقظاً يحول بين النفس وبين السيء من القول والفعل فيما يختص بها وفيما يختص بحقوق الآخرين وغرست القيم وأنماط السلوك فى نفوس الناشئة حتى يشبوا عليها وحرصوا على عدم مخالفتها ويجعلوها إطاراً عاماً لسلوكهم . ويقول عبد السميع إمام فيما يتعلق بالقيم الخلقية (قامت الشريعة الإسلامية لتحقيق الأخلاق الفاضلة بتقويم الفرد وإصلاح الجماعة كما عنيت باستتاب النظام والأمن فى المجتمع بنشر فضيلة الألفة بين أفراده حتى يكون كالجسد الواحد ... وإذا سمت أخلاق الفرد لايكاد يصدر منه شر كما لايكاد يخلو عمله من خير ... وإذا صلح الفرد واستقامت أخلاقه فقد صلح المجتمع ... وإذا صلح الفرد وشاعت المحبة بين المجموع استتب النظام وعمَّ الأمن سائر المجتمع)[(١)] .

ـ لقد عملت التربية الإسلامية على تأكيد العلاقة بين الإنسان وخالقه دون واسطة من أحد فاهتمت بالعقيدة وتربية النفوس بالإيمان وتشييد البناء الاجتماعى على قاعدتين : نفسية وخلقية .

لقد وضع القرآن الكريم الخطوط العريضة التى توجه العملية التربوية فى المجتمع الإسلامى ، إن الإنسان يسلك . فى ضوء هذه العلاقة ويحسن دائماً أن هناك رقيباً

إن وحدة المصدر الذى تنبسق منه التربية الإسلامية والقيم الأخلاقية التى تحكم السلوك وترسم الطريق الذى يسلكه الفرد والمنهاج الذى يتبعه فيتكون الضمير الحى اليقظ .

ـ إذا كانت التربية الإسلامية تعمل على ترسيخ الأفكار والمفاهيم والقيم فإنها لاتهتم فقط بالجانب النظرى المعرفى فالمعرفة النظرية غير كافية لتعلم السلوك

---

(١) عبد السميع إمام ، أثر تطبيق الحدود فى المجتمع . القسم الرابع ، إدارة الثقافة والنشر ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، ١٤٠٤ — ١٩٨٤ ، ص٢٦٣ .

فتحقيق الهدف السلوكى من التربية لايكفى فيه الفهم والمعرفة ولكن لابد من جانب تطبيقى ، ولهذا تعددت أساليب التربية الإسلامية وكان الاهتمام كبيراً بالسلوك وانصب الاهتمام أيضاً على القدوة إلى جانب الموعظة والعرض والشرح وكذلك الممارسة العملية لها فى الواقع ؛ ومن هنا تبرز أهمية مرحلة الطفولة فى ترسيخ الأفكار والمفاهيم والقيم فإن بناء النفوس إنما يتم خلال الزمن بعرض الأفكار عليها فكرة فكرة

الطفولة كمرحلة ترسخ فيها العقيدة أشار إليها رسول الله ﷺ فكل مولود يولد على الفطرة ووظيفة التربية هى أن يهيىء لهذا الطفل البيئة التى يتشرب فيها ومنها المفاهيم والقيم والأفكار فتترسخ فى نفسه فتؤثر على سلوكه بعد ذلك . إن ترسيخ الأفكار والقيم لابد أن يخضع لمؤسسات تربوية ولايمكن أن يترك لجانب الصدفة بدون علم ومنهج واضح ، ولقد أتاحت التربية الإسلامية للإنسان من وسائل التربية ما يطوع عملية صياغة الإنسان وترسيخ القيم والأفكار (إن الإسلام يتناول الفرد الإنسانى من كل جوانبه فى تناسق تام لايهتم بجانب دون الجوانب الأخرى كما أنه ينسق بين النظم الاجتماعية فى تساند وظيفى محكم فلا تصارع ولاتنازع بين النظام التربوى والنظام السياسى والاقتصادى .... ولهذا تعالج التربية الإسلامية النفس البشرية والحياة البشرية جسم وعقل وروح ممتزجة ومترابطة فى كيان واحد)[1]

ـــ تختلف الأفكار والقيم والمبادىء و المفاهيم والتى هى من ضمن ما بالأنفس ـــ فى درجة رسوخها وحينما تنغمس الفكرة فى النفس ويتشرب الإنسان القيمة تصبح مصدراً للسلوك ومرجعا يرجع إليه الفرد قبل أن يفكر فى سلوك ما ولكن هذا الرسوخ وهذا الانغماس يختلف من فرد إلى فرد آخر وعلى هذا فهو فى حاجة دائمة إلى تعديل وإلى تنمية ؛ فالأخلاق سلوك ظاهر يكمن وراءه قيم ودوافع رسخت فى نفس الإنسان ودور التربية الإسلامية يكمن فى عملية الترسيخ وذلك لتغيير ما بالأنفس وتهيئتها لإحداث التغيير

---

(١) محمد قطب ، مرجع سابق ، ص٢٩ .

إن ترسيخ القيم والمبادىء والأفكار والمعتقدات والاتجاهات الإسلامية يجعل الفرد يعقل ويتدبر ويتفكر فى سنن الكون وقوانينه ومحاولة السيطرة عليها وتسخيرها فى خدمته .

ــ إن إمكانية تحقيق السلوك الخلقى وهو هدف من أهداف التربية الإسلامية لاتكون فقط بمجرد تلقين المعلومات وتقديم المواعظ فى المدرسة أو البيت وإنما لابد أن تقدم للأطفال كموعظة وأن تترجم إلى واقع وذلك من خلال تحليلها وترجمتها إلى سلوك بحيث يصبح جزءً لاتتجزأ من شخصية الأطفال .

إن الفكر لاتظهر ثماره إلا فى التطبيقات العملية وهناك خطوره من الانفصال بين الفكر والمفاهيم والأفكار والقيم وبين تطبيقاتها والقرآن الكريم ينكر على المسلم أن يعلم بدون عمل فيقول سبحانه ﴿ يأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبرُ مقتاً عند الله أن تقولوا ما لاتفعلون ﴾ ، (الصف ٢ ــ٣)

ــ يحرص الإسلام على أن يكون السلوك الصادر من الفرد منبثقاً عما بنفسه وعن قيمه وأفكاره وبوحى من ضميره دون إجبار أو إكراه حيث لا إكراه فى الدين ؛ فالسلوك الذى يأتى نتيجة الإجبار أو الإكراه أو نتيجة الخوف أو الذى يسلكه الفرد نتيجة للتدريب والممارسة سلوك لايتفق مع مامنحه الله للإنسان من عقل ومن حث على إعمال الفكر ومن هذا المنطلق كانت دعوة الإسلام للتفكر والتدبر وتحرى الدقة فى الأمور فالتفكير هو الوجه الداخلى للسلوك .

ولتعلم القيم والمبادىء والأفكار والمفاهيم المختلفة نجد أن الإسلام وضع شروطاً معينة لكى تتم عملية التعلم على أحسن وجه ، ومنها :

١ ــ أن تمتزج النظرية بالتطبيق والممارسة العملية : فقمة الفهم والاستيعاب أن يطبق الفرد ما يحفظه وما لديه من معرفة نظرية .

قال تعالى ﴿ .. ولو أنهم فعلوا مايُوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً ﴾ ، (النساء ــ ٦٦ ﴾

٢ ــ مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين واستعداداتهم ؛ فالاستعدادات

والقدرات بين الأفراد متفاوته ويجب مراعاة ذلك لكى تتم عملية التعلم بما يلائم استعداداتهم ﴿ لايكلف الله نفساً إلا وسعُهاَ لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لاتؤاخذنا إن نسينَا أو أخطأنا ربنا ولاتحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولاتحملنا مالا طاقة لنا به ... ﴾ ،(البقرة ــ ٢٨٦)

(وعملية التعلم بأوسع معانيها ، تلك العملية التى يقودها ويشرف عليها المعلم تسير وفق سنن ولهذا كان لابد من معرفة طبيعة التعلم وشروطه وسننه التى يخضع لها لنسير فى عملنا التعليمى وفق هذه السنن مستفيدين منها لامصادمين لها واكتساب المهارات وتكون الاتجاهات ورسوخ العادات كل هذا ذو علاقة وثيقة بالتعلم) (١)

إن ترسيخ القيم والأفكار والمبادىء لتغيير ما بالأنفس عملية تخضع لأسس وقوانين ولكى تتم لابد ان تراعى السنن والقوانين حتى تتحقق عمليةالترسيخ .

* * * * *

(١) عبد الرحمن البانى ، مرجع سابق ، ص٤٢ .

التربية الإسلامية والضبط الاجتماعي

تمثل التربية القوة الضابطة للتغير الاجتماعي حيث تتمثل السلطة الاجتماعية للتربية فى طبيعتها الإلزامية التى بمقتضاها يتحتم على الأفراد فى مختلف المستويات الأخذ بقواعد معينة فالتربية هى التوجيه والضبط والقيادة . ويشتمل الإسلام على مبادىء عامة وأساسية محددة للقواعد التى تحكم العلاقات الاجتماعية ولقد ترك الإسلام أمر تفصيلها لمقتضيات الزمان والمكان بحيث لاتتعارض مع مبادئه الأساسية ولهذا ترك الباب للعقل الإنسانى فى الاجتهاد وعمل على التوفيق بين مطالب الفرد وبين مطالب الجماعات داخل المجتمع ويعتبر ذلك من صميم عملية الضبط الاجتماعى فى المجتمع .

ولقد جاء الضبط الاجتماعى فى الإسلام وسطاً فلم يوسع من دائرة الجماعية التى تقضى على كيان الفرد وتكاد تلغى حدوده وخصائصه الفردية ولم تتوسع فى دائرة الفردية إلى درجة الأنانية التى تفكك روابط المجتمع ؛ فالإسلام تتوفر فيه محاسن الفردية والجماعية وعملية الضبط الاجتماعى فى المجتمع الإسلامى عملية لاتقوم على السلطة الخارجية ، بل تخضع للنظام التربوى الذى يتبناه الإسلام فى إصلاح الفرد ؛ ليكون سلوكه ترجمة لما مافى نفسه حيث تؤثر التربية على القيم الاجتماعية إلى حد كبير كما تناولت الدراسة قبل ذلك ، وهى هنا لاتخضع لمراقبة الأفراد فقط ولكنها تخضع أيضاً لمراقبة الله فى السر والعلن .

ومهمة التربية الإسلامية وتأثيرها على الفرد هى تمكين أنماط الضوابط الإسلامية فى سلوك الأفراد وجعلها التزاماً محبباً يعمله الفرد عن طواعية دون إجبار أو إكراه يثاب عليه الإنسان فى آخرته ويشعر به وبأثره ويثاب عليه أيضاً فى دنياه .

لقد وضعت التربية الإسلامية الضوابط التى تحكم العلاقات بين أفراد الأسرة ؛ لأنها الأساس الذى يقوم على عاتقه تربية الطفل .

ولعل أبرز اهتمامات التربية الإسلامية تكمن فى تنظيم مجتمع الأسرة من حيث

العلاقات والحقوق والواجبات .

وينظر الإسلام إلى الأسرة على أنها أصل من أصول الحياة الاجتماعية والتى لايمكن للمجتمع أن يقوم قياماً سليماً إلا على عاتقها .

وفى تكوين الأسرة على النهج الذى رسمه القرآن الكريم يجعلها مصدراً من مصادر تكوين المجتمع المسلم ، ويضمن لها الاستقرار النفسى ، والاجتماعى ؛ مما يمكنها من أداء رسالتها الأساسية فى تربية أبنائها على قيم الإسلام ومبادئه .

ولهذا كان تكوين الأسرة ضرورة اجتماعية ، وطريقها الزواج ، فحرصت التربية الإسلامية على تنظيم العلاقة بين المرأة وبين الرجل ؛ فقد قال تعالى ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودةً ورحمة إنَّ فى ذلك لآياتٍ لقومٍ يتفكرون ﴾ (الروم ــ ــ٢١)

ولهذا كان اهتمام التربية الإسلامية بالفرد ؛ حيث إنه الأساس فى تكوين الأسرة ، ولهذا اهتمت التربية الإسلامية ببناء التوافق والانسجام فى ظل المودة والرحمة التى تجمع بين أفراد الأسرة بما يحقق الهدوء والأمن والطمأنينة والسكينة داخلها ولاشك أن هذا ينعكس على المجتمع .

ولقد حرصت التربية الاسلامية على تنظيم العلاقات الاجتماعية تنظيما دقيقاً يرتبط بالناحية السلوكية فى داخل الأسرة والجماعة ، ونظراً لأهمية هذا الموضوع فقد جاء الإسلام مركزاً على الأنماط التربوية الأسرية والقيم الأخلاقية المتعلقة بذلك بالتفصيل واهتم بكثير من الجزئيات الصغيرة ، ومنها على سبيل المثال :

ــ **استئذان الأطفال كنمط سلوكى تربوى** اهتم به الإسلام ، فالتربية الإسلامية تعالج السلوك كلياً وجزئياً فى آن واحد تحقيقاً لأمن الأسرة واستقلالها . قال تعالى ﴿ ياأيها الذين آمنوا ليستأذِنكُم الذينَ ملكَتْ أيمانُكم والذينَ لم يبلغُوا الحُلَم منكم ثلاث مراتٍ من قبلِ صلاةِ الفجر وحين تَضعونَ ثِيَابَكُم من الظهيرةِ ومن بعدِ صلاة العشاء ثلاثُ عوراتٍ لكم ليسَ عليكُم ولاعليهم جناح بعدهُن طوافونَ عليكم بعضُكُم على بعضٍ كذلك يُبين الله لكُمُ الآياتِ والله عليمٌ حكيم . وإذا بلغَ

الأطفالُ منكم الحُلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم ﴾ النور (٥٨ ــ ٥٩)

ــ **تحرى الدقة فى الأنباء** : كنمط سلوكى مرغوب فيه حرصاً من التربية الإسلامية على وحدة الجماعة وتماسكها وحرصاًعلى حرمة الأسر . كما نهى الإسلام عن الغمز واللمز والتنابز والسخرية والتجسس والغيبة حرصاً منه على احترام الآخرين والتماسك الأسرى والاستقرار ؛ ولهذا كانت التربية الإسلامية هادفة إلى تربية سليمة ليكون الفرد اجتماعيا إنسانياً متألفاً متماسكاً .

إن ترويض : الفرد على الخلق الفاضل وتكوين الأسرة المبنية على أساس المودة والرحمة هى السبيل إلى تكوين المجتمع وتنظيم العلاقات بين أفراده ، فكانت هناك الضوابط الأخلاقية للأسرة والفرد وكان تغيير الفرد ليسلك وفق سلوك معين ووفق ضوابط أخلاقية نابعة من داخلة غرست فيه بالتربية والتعليم .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الأحكام التى تتعلق بالأسرة فى الإسلام جاءت تلبية للحاجات والمتطلبات المتعلقة بارتباط الرجل بالمرأة ومايتصل بذلك من تكوين الأسرة ووجود متغيرات تتعلق بذلك مثل القرابة والبنوه والميراث والانفصال ولهذا فإن تلك الأحكام ثابتة لاتتغير ؛ لأن الدوافع والحاجات التى بنيت على أساسها ثابتة لاتتغير لأنها حاجات فطرية ويقول عبد الله التركى بهذا الصدد (ولما كانت هذه الحاجات الفطرية ثابتة لاتتغير فإن الأحكام التى شرعت لتنظيمها وضبطها ومعالجة كل مايتعلق بها قد جاءت ثابتة لاتتغير ، جاء أكثرها قطعى الثبوت فهو ثابت بكتاب الله عز وجل وبالسنة الصحيحة عن رسول الله ﷺ ، وأكثرها قطعى الدلالة كذلك ومالاشك فيه أن الخلاف فى هذا الجانب من جوانب الشريعة قليل .»[1]

---

(١) عبد الله بن عبد المحسن التركى ، توجيهات الإسلام فى نطاق الأسرة ، إدارة الثقافة والنشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض ١٤٠٤ / ١٩٨٤ ص ١٨ .

ـــ لقد وضع الإسلام الضوابط فيما يتعلق بتربية الأطفال وتكلم فى إرضاعهم وحضانتهم وكفالتهم وحقوقهم وركز على حقوق اليتامى ووضع الضوابط لذلك .وركز على أهمية الحرية لحاجة من حاجات الأطفال وكون هذه الحرية فى حاجة إلى توجيه وإلى سلطة ضابطة وإلى اتباع النظام والإرشادات لهذه السلطة على نحو يضبط سلوك الفرد ويرسخ القيم الأخلاقية والعادات المفيدة فالحرية فى الإسلام منوطة بمسئولية وهذا ما يجب أن يراعى فى تربيةالأطفال . (فحرية التفكير منوطة بالمسئولية عن كل أدوات التفكير من سمع وبصر وعقل والتسرع فى الحكم بدون علم صحيح من الأمور المنهى عنها والتى يُحاسب الإنسان عليها ﴿ ...ولاتقف ماليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كلُ أولئك كان عنهُ مسئولا ﴾ ، (الإسراء ـــ ٣٦)

وحرية العمل منوطه بالمسئولية عن نتائج هذا العمل إن خيراً فخير وإن شراً فشر ﴿ ... فمن يعمل مثقال ذرةٍ خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرةٍ شراً يره ﴾ ، (الزلزلة ـــ ٧ ، ٨)

وحرية الطعام والشراب محدودة بالمسئولية عن الإسراف وعن شكر النعم وذكر اسم اللهوالابتعاد عن المحرمات من الأطعمة والأشربة .

﴿ وكلوا وإشربوا ولاتسرفواإنه لايُحبُ المسرفين ﴾ ، (الأعراف ـــ٣١)

﴿ ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق .. ﴾ ، (الأنعام ـــ ١٢١)

.. والحرية فى الكلام بشرط أن تبتعد عن الغيبة والنميمة وقول الزور واللغو والتفحش والسحر والتلفظ بكل سوء ...) [1]

فالحرية فى الإسلام ليست مطلقة ومن هنا كان للتربية الإسلامية سلطة ضابطة تستطيع بها أن توجه سلوك الأفراد وتمنعهم من الانحراف وتدلهم على حدود تلك الحرية فيما يتعلق بالفرد نفسه وبالآخرين وبالمجتمع وفى ضوء الحلال والحرام فى الإسلام

إن هناك أموراً لايملكها الإنسان وحدوداً لايستطيع أن يتخطاها وهذا هو دور

(١) عبد الرحمن النحلاوى ، التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة ، ص١٤٩ ـــ ١٥٠ .

التربية الإسلامية كقوة ضابطة فى توضيح تلك الحدود والأشياء ويكون ذلك بالموعظة والحكمة، والقدوة ويكون هذا قائماً على الإقناع والإقتناع وليست هناك مشكلة لأن الإسلام دين الفطرة وهناك فى داخل الإنسان ما يجعله يتقبل تلك الحدود وما يجعله يشعر أن هناك قوة فوق قوته وإرادته وهو الخالق سبحانه وتعالى وهو الذى وضع تلك الحدود حماية للنفس والعقل وحماية للفرد والآخرين فى المجتمع

إن التشريع الإلهى هو مصدر جميع الأنظمة بما فيها الأنظمة التربوية

إن دور التربية الإسلامية هو جعل تلك السلطة الضابطة تنطلق من داخل الفرد نفسه ترجمة لمابنفسه وذلك بتربية الضمير حتى تكون سهلة التطبيق محققة للأهداف .

الحدود والضبـط الاجتماعى

لم يقف الأمر عند حد التربية والتعليم فيما يتعلق بالضبط الاجتماعى فهناك فروق اجتماعية وفروق فردية بين البشر وهناك النفس الإنسانية التى قال عنها رب العزة والجلال ﴿ ونفس وماسواها فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ﴾ ، (الشمس — ٧ — ١٠)

فكان لابد من ضوابط أخرى خارجية وهذه هى الحدود المتعلقة بالجرائم التى يرتكبها الأفراد فى حق أنفسهم وفى حق المجتمع . فلا يمكن أن تتوافر أسباب الأمن والهدوء والطمأنينة بالأخلاق وحدها رغم أنها ذات تأثير واضح على الفرد يمنعه من الخروج على أنماط المجتمع فالجريمة واقعة حتمية لايخلو منها مجتمع ؛ ولهذا لجأ الإسلام إلى الردع فجاءت الحدود محددة وواضحة المعالم ومفصلة فى القرآن الكريم ومطبقة فى سيرة رسول الله ﷺ ومعروفة نتائج تطبيقها فى الدولة الإسلامية على مر العصور وفى بعض الدول الإسلامية فى عصرنا هذا .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الإسلام لايبدأ بإقامة الحدود بل فى بداية الأمر يهتم بالتربية الإسلامية تلك التى تبعد الأفراد عن الوقوع فى الفساد ، إلى جانب أن دور

التربية الإسلامية فيما يتعلق بالحدود الشرعية يكمن فى تعريف الأفراد بها وتوضيح الأمور المتعلقة بها وأهمية تطبيقها لصالح الفرد والمجتمع والأمة بأسرها .

﴿ تلك حدودُ الله ومن يطع الله ورسوله يدخِلهُ جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوزُ العظيم . ومن يَعْصِ الله ورسولَهُ ويتعد حدُوده يُدخِلهُ ناراً خالداً فيها وله عذابٌ مهين ﴾ ، (النساء ١٣ ـــ١٤)

والحدود بما تملكه من عامل الضبط لها دور كبير فى التربية وهى طريقة الله فى تحقيق الأمن والسلام فى مجتمع المسلمين وحماية المصالح الأساسية للأفراد والجماعات . ولقد اتخذت التربية الإسلامية من الأساليب المتعددة ما يحقق لها ذلك فكانت هناك وسيلة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وكان هناك الترغيب والترهيب إلى جانب التركيز على القدوة الصالحة والوسائل الأخرى التشريعية ولهذا كانت الحدود والأهداف الرئيسية من تطبيق الحدود كأحد أساليب الضبط الاجتماعى هى :

١ ـــ حماية الدين

وهى داخلة فى تكريم الإنسان لأن التدين خاصة الإنسان دون سائر الحيوان ولهذا قرر الإسلام أنه لاإكراه فى الدين .

٢ ـــ حماية النفس والمحافظة عليها بحفظ الحياة الكريمة

ويدخل فيها الأمور المعنوية كالمحافظة على الكرامة والحرية ومنع الاعتداء على أى أمر من الأمور التى تتعلق بها بما يعد من مقومات حياتها من حرية العمل وحرية الفكر وحرية الإقامة وغير ذلك من عدم إثارة الفتن أو السعى بالفساد بين الناس الذى ينتج عنه تفكك الروابط الاجتماعية والعمل على إيجاد التعاون بين أفراد المجتمع .

٣ ـــ حماية النسل

وتقوم هذه الحماية على أساس المحافظة على الأعراض.ولذا كان من محاسن الشريعة الإسلامية أن جعلت أمر النساء محاطاً بالمحافظة وجعلت الدفاع عن

العرض من الواجبات الدينية ... كما شرعت آداب المنازل كطلب الإذن بالدخول وغير ذلك من الآداب السامية .

٤ ـــ المحافظة على المال

وتكون هذه المحافظة بمنع الاعتداء عليه بالسرقة أو الغصب أو السلب أو النهب وغير ذلك ، كما تكون بالعمل على تنميته ... ووضعت الشريعة الأحكام المنظمة له .

٥ ـــ المحافظة على العقل

لقد كرم الله الإنسان بعقله وبه فضله على باقى مخلوقاته ... وكانت التكاليف الشرعية ، إذ جعل مناط التكليف العقل فبه يفكر ويعقل ويعرف النافع من الضار والخير من الشر ؛ ولذلك أمر الله بالمحافظة على العقل الذى اختص به الإنسان وحرم الاعتداء عليه بما يضره من تناول المسكرات والمخدارت ... وذلك لأن الإنسان إذا ما أصيب بآفة فى عقله أصبح عبئاً على المجتمع ومصدر شر وأذى للجماعة . ـــ)(١)

إن الحدود التى شملتها الشريعة الإسلامية وضعت كوسيلة للردع والضبط الاجتماعى من أجل صيانة الضرورات الخمس الدين والنفس والعرض والمال والعقل من أجل حماية الفرد وحماية المجتمع من كل من تسول له نفسه الاعتداء عليها . والعقاب يساعد منع الأفراد من اقتراف الجرائم ذلك لأن النهى عن الفعل وعن ارتكاب الجرائم لايكفى وحده لحماية الفضيلة فكانت هناك أساليب العقاب والردع المختلفة الغرض منها حماية الفضيلة وحماية المجتمع وكذلك المنفعة العامة وما من حكم فى الشريعة إلا وفيه مصلحة للناس ﴿ يأيُها الناسُ قد جاءتكم موعظةٌ من ربكم وشفاءٌ لما فى الصدور وهدى ورحمةٌ للمؤمنين ﴾ ،(يونس ـــ ٥٧)

إن الحدود الشرعية بما تمثله من ردع سبب فى إصلاح المجتمع واستقراره وأمنه لأنها تقوم على العدل التام فليس هناك فرق فى تطبيق تلك الحدود إلى جانب أنها

(١) محمد خاطر ، أثر تطبيق الحدود فى المجتمع ، القسم الثالث ، إدارة الثقافة والنشر ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض ، ١٤٠٤ ـــ ١٩٨٤ ، ص٢٠٣ ـــ٢٠٦ .

متدرجة فبقدر الجريمة يكون الحد وتكون العقوبة بالإضافة إلى أن العقوبة قد راعت طبيعة الإنسان وحماية المجتمع كما أنها تتميز بالسمو والدوام والاستقرار فقواعدها ونصوصها من المرونة والعموم بحيث تتسع لحاجات الجماعة مهما طالت الأزمان وتعددت الحاجات فهى من عند الله خالق الإنسان ﴿ أَلَا يَعلَمُ من خلقَ وهو اللطيف الخبير ﴾ ، (الملك — ١٤)

ولقد راعى الإسلام كذلك أن علاج الجريمة يكون من داخل النفس ولهذا كان له منهجه فى التربية الإسلامية لتحقيق الأخلاق الفاضلة بتقويم الفرد وإصلاح الجماعة ودخلت مع الفرد فى حقيقة نفسه وأقامت من ضميره حارساً عليه فى حركاته وأفعاله وسكناته وبما وضعت له من ضوابط ، تلك الضوابط التى وضعت للمحافظة على هذا الإنسان الذى يتباين تبايناً كلياً عن كل الخلائق التى تعمر الكون فهو (يختلف عن الحيوان وغرائزه بالضبط والإرادة ويختلف عن الملائكة بإرادته واختياره ويختلف عن الجن بكثافته وتناسق أعضائه)[1]

وصدق الله تعالى إذ يقول ﴿ صُنْعَ الله الذى أتقنَ كُلَّ شىء إنهُ خبيرٌ بما تفعلون ﴾ ، (النمل — ٨٨)

﴿ لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم ﴾ ، (التين — ٤)

هذا الإنسان الذى صلح واستقامت أخلاقة وما بنفسه صلح المجتمع ؛ ولهذا اهتمت التربية الإسلامية بالقاعدة الصلبة التى إذا ما نشأ عليها الأولاد كانوا فى مأمن واهتم بعملية تربيتهم ليتعودوا على الأخلاق فى معاملاتهم فهم خط الدفاع الأول الذى انصب عليهم التركيز فى مهدهم وفى مراحل نموهم وقبل ولادتهم ، وعمل على تربية الضمير الحى الذى يكون رقيباً على الفرد فى جميع أعماله وحارساً يحول دونه ودون اقتراف محارم الله فلاشك أن الوقاية خير من العلاج ؛ ولهذا وضع الإسلام حواجز تمنع الجرائم قبل وقوعها ومن أكفأ هذه الحواجز التربية بأساليبها المختلفة .

---

(١) عبد الرحمن عميو ، مرجع سابق . ص٢٨٣ .

ثم إن العبادات لها صفة الضبط والتحكم فى الإرادة ولها أثرها التربوى . وأعمال الإنسان كلها عبادة مادامت وجهتها لله سبحانه وتعالى وهى تربى النفس الإنسانية لما فيها من تنظيم وضوابط (إن الإسلام بحكم أنه دين ودولة قد نظم شئون الدنيا والآخرة فى صورة دينية متكاملة فكما تحدث الدين الإسلامى عن الله والملائكة واليوم الآخر والعبادات ، تحدث عن الزواج والطلاق والميراث والبيع والشراء والعلاقات الاجتماعية بين الفرد والمجتمع ، وغيرها من شئون الدنيا ، ووضع لهذه وتلك القوانين والنظم وألزم المسلمين باتباعها ، وحدد عقوبة المخالفين والعصاه تحديداً مفصلًا أو تحديداً مجملًا ترك تفاصيله لأفراد المجتمع وربط ذلك بالعبادات) [1]

ومن هنا هدفت التربية الإسلامية من العبادات إلى تهذيب الخلق لتكوين الفرد الصالح والمجتمع الصالح فالدين المعاملة ، والتربية الإسلامية تمكن الإنسان من أن يصون حقوقه وحقوق الآخرين ، ومحور هذا كله العبادات التى ترمى إلى تكوين الفرد الفعال المشارك للحياة الذى يشعر بمسئوليته الفردية أمام المجتمع وأمام الخالق .

* * * * *

(١) أحمد شلبى ، مقارنة الأديان الثلاثة . النهضة المصرية القاهرة ١٩٦٥ ص٢٢٤ .

التربية الإسلامية والتغيير الاجتماعى

الإسلام كل لايتجزأ ونظمه مكملة بعضها البعض وحدوث التغيير فى مجال من المجالات أو فى نظام من النظم لابد أن يصحبه التغيير فى النظم الأخرى وإلا حدث خلل فى البناء الاجتماعى

والتنسيق المحكم بين النظم المختلفة فى المجتمع الإسلامى هو ما يتسم به الدين الإسلامى فى تناوله للإنسان ومجتمعه فلا تصارع ولا تضاد بين النظام الاقتصادى والنظام السياسى والنظام التربوى فالمصدر واحد والهدف واحد والاتجاه واحد .

والإنسان هو الأساس فى أى نظام من النظم الاجتماعية وعلى هذا فإن تغيير هذا الإنسان من خلال نظام تربوى إسلامى سيكون له أثره فى النظم الاجتماعية الأخرى تلك النظم التى وضع الإسلام لها الخطوط العريضة والمبادىء

ولقد اعتبر الإسلام الإنسان قيمة حقيقية وركناً أساسياً فى الحياة بما أودع الله فيه من قدرة جسمية وعقلية وقابلية للتكيف المستمر وعليه أن ينظر إلى ماحوله ليجد آيات الله فى كل مكان وفى كل مظهر من مظاهر الحياة وليجد قوانين الله ظاهره وسننه واضحه فيتحرك للإستفاده منها والكشف عنها وتسخيرها لخدمته .

إن على الإنسان أن يتحرك وأن يغير وأن يبدل ويبنى ويأخذ بالأسباب ولاينتظر المفاجآت لأنه بطل التغيير .

والحركة والتغيير لايمكن أن تتما إلا إذا غير الأفراد مابأنفسهم وأخذوا بالأسباب وتحركوا بتخطيط وتنظيم أما إذا حدث عكس ذلك فإن القانون الإلهى سوف يحدث حين ينعدم الإصلاح والتخطيط والتنظيم وحين ينعدم تغيير مابالنفس .

وتعتبر التربية أحد العوامل الأساسية فى التغير الاجتماعى إن لم تكن العامل الأساسى حيث ترتبط بالإنسان صانع التغيير ويقول محمد فؤاد حجازى (ويمكن القول بأن التربية هى العملية الواعية الموجهة توجيها يتفق واستحداث التغيرات المطلوبة فى سلوك الأفراد والجماعات فى كل متكامل والتغيير لابد أن يحدث فى كل

مجتمع إنسانى من خلال التغيير الذى يحدث لأفراده .. هذا ومن أبرز معالم التغير الاجتماعى الذى يحدث .

نتيجة للتغير فى النظام التربوى تغير الأنماط السلوكية حيث أن التغيرات التى تحدث فى المجتمع إنما تظهر فى سلوك الناس ..) . (١)

إن التربية تعتبر أساس كل تقدم وعليها تعتمد جهود الإصلاح والتغيير ويمكن بالتربية أن تعالج التغير فى كافة ميادين الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ولكى تعالج التغير بنجاح عليها أن تجعل هذه المعالجة فى صورة شاملة متكاملة وليس فى نطاق واحد ضيق أو ميدان واحد على حساب الميادين الأخرى . ولقد شمل القرآن الكريم من المبادىء مايجعل التربية الإسلامية قاعدة للانطلاق وطاقه للتغيير والتطوير مستمدة من الإيمان بالله والأخذ بالعلم وبأسباب العلم وشمل أيضاً من الوسائل والأساليب مايساعد الإنسان فى الوصول إلى الحقيقة .

وتشمل المبادىء التى توجه التربية فى الإسلام مايلى :

١ ــ التعليم ضرورة من ضروريات الإسلام وفريضة على كل فرد :

لقد دعا الإسلام المسلمين إلى التعلم وبعث فيهم رسولاً يعلمهم ويزكيهم ويعدل سلوكهم وعلاقاتهم ويقسم شؤون التنظيم والبناء الاجتماعى على أساس من العقيدة الراسخة ، ولهذا أتت كثير من الأدلة تحض على التعليم والترغيب فيه ومن هذه الأدلة قوله تعالى ﴿ وماكان المؤمنون لينفِرُوا كافة فلولا نَفَر من كل فرقةٍ منهُم طائفةٌ ليتفقهوا فى الدينِ ولينذروا قَومَهُم إذا رجَعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾ (التوبة ــ ١٢٢) فجعل الله سبحانه وتعالى القيام بالنفقة والتعليم والتعلم وطلب العلم مهماً تماماً والدفاع عن الأمة ، ويتناول النحلاوى التعليق على هذه الآية فيذكر « أن التعلم فرض على جميع أبناء الأمة .. فعموم لفظ (قومهم) دليل على وجوب التعلم ، وحرص الحق جل جلاله على تفقيه وإنذار جميع أبناء الأمة بأمور دينهم هو سبب منع النفير العام الذى يخشى معه استشهاد علماء الأمه وفوات التعليم على باقى أبناء الأمة ولهذا رتب لكل فرقة طائفة من طلبة العلم يخصصون للجهاد

(١) محمد فؤاد حجازى ، التغير الاجتماعى . مكتبة وهبة . القاهرة . ١٩٧٨ . ص ١٩ .

بالتعلم والتعليم فى مقابل إخوانهم الذين نفروا للغزو والجهاد فالتعلم والتعليم فرض لايقل أهمية عن الجهاد والدفاع عن الأمة » .[1]

ويذكر محمد إبراهيم نصر فى تعليقه على الآية نفسها(التعبير بـ « لولا » هنا له دلالة هامة فهى ليست لمجرد الشرط ولكنها تفيد الحث والحض ففى ذلك دعوة مؤكدة على أن تعنى الأمة بتفقيه بعض أبنائها فى الدين حتى تكون على بينة بجزئياته وتفصيلاته ومبادئه .. والتعبير ب « نفر » يفيد السعى لتحصيل هذه المعرفة والدأب الجاد للوصول إليها والتعبير (ليتفقهوا .. ولينذروا) يوضحان الغاية من هذه المعرفة والهدف منها ، إذ لافائدة للعلم والفقه إذا اختزن فى القلب ولم ينشر على الناس ، بحيث يأخذ طريقه إلى نفوسهم وقلوبهم)[2]

وهناك كثير من الآيات الأخرى والأحاديث النبوية الشريفة التى تحض على طلب العلم والتعلم والتعليم وسنكتفى بحديث رسول الله ﷺ حيث قال « من سلك طريقاً يبتغى فيه علما سهل الله له طريقاً إلى الجنة ، وأن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما صنع ، وإن العالم ليستغفر له من فى السموات والأرض حتى الحيتان فى الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وأن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر » (رواه أبو داود والترمذى) .

لقد اعتبر الإسلام التعلم وطلب العلم من العباده وأشاد بمنزلة العلماء وطلاب العلم وحث على طلب العلم ومنح الإنسان القدرات والاستعدادت والوسائل التى تمكنه من تحقيق ذلك .

---

(١) عبد الرحمن النحلاوى ، التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة . مرجع سابق . ص ٥٩ .

(٢) محمد إبراهيم نصر ، الإعلام وأثره فى نشر القيم الإسلامية وحمايتها ، دار اللواء للنشر والتوزيع ، الرياض ١٣٩٨ / ١٩٧٨ . ص ١٢ .

٢ ـــ الوقوف من التراث موقف الناقد والتفكير والنظر وعدم التقليد :

إن القرآن الكريم قد ألح فى كثير من آياته على الناس أن ينظروا إلى سنن الذين خلوا من قبلهم وذلك للاستفاده من تجاربهم وتمحيصها وعدم الالتزام بكل مافيها والاستفادة من تجاربهم لأن كل من يريد أن يبنى مجتمعاً أيا كان هذا المجتمع إذا لم يستفد بخبرات الآخرين ويعرف عوامل البناء والهدم فلن يتمكن من إقامة المجتمع أو تغيير الواقع ، والسنن الكونية تماما كالسنن العضوية تنطبق على المسلم وغير المسلم .

وفى القرآن دعوة صريحة إلى تمحيص التراث وعدم التشبث بكل مايخلفه الآباء قال تعالى ﴿ وإذا قيل لهم اتبعُوا ما أنزلَ الله قالوا بل نتبعُ ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان أباؤهم لايعقلونَ شيئاً ولايهتدون ﴾ (البقرة ـــ ١٧٠)

وهذه دعوة إلى عدم التقليد ودعوة إلى التفكير والنظر وتمحيص الأمور ودراسة الماضى قبل قبوله وعدم تلقيه دون تفكير ورويه لأن هذه أحد العوامل التى تقود إلى الخطأ ، والتراث منه النافع والمفيد ومنه ماهو غير ذلك ودراسته تساعد فى الحكم عليه وتساعد على فهم الحاضر والعمل على تحديد هوية المستقبل .

إن تراث الآباء له أهمية بالغة إذا استفاد الإنسان منه لتفادى أخطاء معينة والاستفاده من العلم الذى حصلوه ولكن إلمشكلة تكمن فى تقديس التراث كله فيكون ذلك سبباً فى إعاقة الحركة وبهذا ينبغى أن يُخضع للعقل والدارسة لأن الآباء والأبناء يجرى عليهم مايجرى على كل البشر فى وقوعهم فى الخطأ واهتدائهم للصواب .

إن الإنسان أى إنسان ليس سُنه ولكنه يخضع للسنن ويسعى لكشف تطبيقها ومهما كان هذا الإنسان عظيماً فلا يصل الأمر إلى تقديسه إنه لن يتجاوز حد

الرجال وكل بنى آدم خطاء .

وعلى هذا يجب أن نُخضع التراث والتاريخ للمنهج والعقل ونستفيد منه الفائدة المرجوة ونتجنب الأخطاء لأن التراث يحتوى على هذا وذاك .

٣ ــ الانفتاح على خبرات الجماعات الإنسانية المختلفة :

يدعو الدين الإسلامي ويوجه التربية الإسلامية إلى البحث والدراسة للأفكار والخبرات التى تصل إليها الجماعات الإنسانية المختلفة وأن تخضع هذه وتلك للدراسة وللمنهج الإسلامى .

ويبدو هذا الانفتاح واضحاً فى قوله تعالى ﴿ نَرفَعُ درجاتٍ من نشاء وفوقَ كل ذى علم عليم ﴾ ،(يوسف ــ ٧٦) ويقول ﷺ « الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها » رواه الترمذى .

وعلى هذا يجب أن ننظر وننشد الحقائق والنظريات والأفكار المختلفة سواء كانت من نتاج مسلمين أم غير ذلك طالما أنها لاتصطدم مع الدين الإسلامى فلا يعقل أن ترد حقيقة علمية لعدم إيمان أصحابها ولايعقل أن نقف عن الحركة ولانستفيد من تجارب الآخرين وما توصلوا إليه ولاننسى أن القرآن الكريم قد أمرنا بألا نبخس الناس أشياءهم واللفظ جاء على العموم « الناس » ولم يخص جماعة بعينها ، (والانفتاح على خبرات الجماعات المختلفة يرتبط مع عقيدة الإسلام نفسها ، فمراجعة هذه الخبرات يساعد على أمرين : الأول التعرف على مكامن الخير وأصوله فى كل جماعة لتنميتها والاستفادة منها فى الحوار الدائر مع الإنسانية والثانى التعرف على عوامل الانحراف والمرض فى كل جماعة لتشخيصه وتحديد وسائل علاجه) (١)

ويتصل بذلك مايطلق عليه الأصاله والمعاصره وكيفية التوفيق بينهما ، فأى فكر إذا أراد الإنسان أن يتعرف على صحته عرضه على كتاب الله وسنة رسوله

---

(١) ماجد عرسان الكيلانى ، مرجع سابق . ص٦٨ .

ﷺ فإذا لم يعارض الفكر ماجاء بهما أو إذا لم يخرج عما جاء فيهما كان فكراً أصيلاً وتكون الأصالة بالنسبة لنا كمسلمين هى موافقة الفكر لما جاء فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ واضعين فى الاعتبار الآثار والنتائج التى يمكن أن تتمخض عن هذا الفكر وسلامة الاتجاه وتناسقه مع معطيات الكتاب والسنة .

ومن هذه الأصاله ينطلق الإنسان ليعيش عصره عارفاً بشئونه آخذاً بمقتضيات هذا العصر إن المعاصرة هى وجود المسلم بأصالته الإسلامية فى وسط هذا العالم يتفاعل معه والمعاصرة لاتكون بغير أصالة والأصالة من مقتضياتها المعاصرة ولاتنسجم التبعية مع الأصالة إن التربية الإسلامية والفكر التربوى الإسلامى لايوجدان فى الميدان وحدهما بل يوجد فى كل عصر من العصور فكر آخر فهل نفضل هذا الفكر بما يتوصل إليه من حقائق ومكتشفات بالقطع إن علينا أن نستفيد من هذا الفكر ولايمكن أن يكون ذلك إلا بالانفتاح على خبرات الجماعات الإنسانية المختلفة تحت مظلة الدين الإسلامى الحنيف .

٤ ــ **استمرارية التعلم أو التعليم مدى الحياة** : العلم لاتحده حدود ومهما تخيل الفرد أنه قد وصل إلى مكانة فى العلم فهناك من هم أعلم منه فهناك دعوة دائمة إلى الاستمرار فى طلب العلم ﴿ نرفعُ درجات من نشاء وفوق كل ذى علمٍ عليم ﴾ ، (يوسف ــ ٧٦) ﴿ وقل رب زدنى علما ﴾ ، طه ــ ١١٤ . والاستزادة تستلزم الاستمرار فى طلب العلم مدى الحياة . ومهما اعتقد إنسان أنه قد قطع شوطا كبيراً فى العلم فأمامه الكثير والكثير قال تعالى ﴿ ويسألُونك عن الروح قل الروحُ من أمر ربى وماأوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ ، الإسراء ٨٥ وفى هذا إيحاء بالتوسع والاستمرار فى طلب العلم مدى الحياة .

ومما يزيد الإنسان رغبة فى طلب العلم مدى الحياة قول الحق تبارك وتعالى ﴿ يَرفع اللهُ الذين آمنوا منكُم والذين أُوتوا العلم درجات واللهُ بما تعلمون خبير ﴾ المجادلة ــ ١١)

٥ ــ **إلزامية التعليم** : التعليم عملية مستمرة وهذا العلم حق لكل إنسان وهذا

الحق يستوجب من العلماء ومن المسئولين جهدا لتوصيله إلى أصحابه ولقد اعتبر القرآن الكريم حرمان الناس من التعليم ذنباً يقترفه القائمون على شئون العلم والتعليم وقد قال تعالى ﴿ ولتكن منكُم أمةٌ يدعون إلى الخيرِ ويأمرونَ بالمعروفِ وينهون عن المنكرِ وأولئكَ هم المفلحون ﴾ آل عمران ـــ ١٠٤) وهذا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والدعوة إلى الخير يعتبر تعليماً وتربية . ولقد نهى الله سبحانه وتعالى عن كتمان العلم فقال تعالى ﴿ إن الذين يكتمونَ ماأنزلنا من البيناتِ والهُدى من بعد مابيناهُ للناسِ فى الكتابِ أولئك يلعَنُهم الله ويلعنُهُم اللاعنون ﴾ البقرة ـــ ١٥٩) وقد قال ﷺ « من سئل عن علم فكتمه أُلجم يوم القيامة بلجام من نار » (رواه أبو داود والترمذى) وليس أدل على إلزامية التعليم من أن أول سورة فى القرآن كانت سورة العلق ﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلقَ . خلقَ الإنسانَ من علقٍ . اقرأ وربك الأكرم . الذى علمَ بالقلمْ علمَ الإنسانَ مالم يعلم ﴾ ، العلق ١ ـــ٥ ثم جاءت السورة التى تلتها وهى سورة القلم ﴿ ن والقلم ومايسطرون ﴾ (القلم ـــ ١) فكانت البداية بالقراءة ثم تلتها سورة القلم وكأنه ارتباط بين القراءة والكتابة لأن الكتابة لابد أن تكون بالقلم فسبحان من علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم .

٦ ـــ **تناسق العلم والإيمان** اقتران العلم بالإيمان فى الإسلام واضح فهما يتكاملان فى استجلاء الحقيقة وتحرص التربية الإسلامية على هذا التناسق وهذا واضح فى ميادين التربية الإسلامية التى تناولتها الدراسة فقد بدأ المنهج بترسيخ الإيمان ، وقد قال تعالى ﴿ هو الذى أنزل عليكَ الكتابَ منهُ آياتٍ محكمات هنَّ أم الكتابِ وأخرُ متشابهات فأما الذين فى قُلوبهم زيغٌ فيتبعونَ مائَشَابهَ منه ابتغاء الفتنةِ وابتغاءَ تأويلِهِ ومايَعلمُ تأويلَه إلا الله والراسخونَ فى العلمِ يقولونَ آمنا به كلٌ من عند ربنا ومايذكر إلا أولُوا الألباب ﴾ ، (آل عمران ـــ ٧)

ولذلك كان العلم سبيلاً للتقوى ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور ﴾ (فاطر ـــ ٢٨) وهو وسيلة للتعرف على حقيقة الدين ﴿ ويَرىَ الذينَ أوتوا العلمَ الذى أُنزِلَ إليك من ربك هو الحق ويهدى إلى صراط العزيز الحميد ﴾

(سبأ ــ ٦) فالعلم والإيمان من أولى مبادىء التربية الإسلامية والتناسق بينهما يعد أساسياً فيجب أن يكون العلم مقروناً بالإيمان وأن يكون غرض المتعلم فى أى معرفة ينشدها هو تقوى الله وأن يخلص النية .

٧ ــ **عدم اتباع الظن والأخذ به** فالوقوف عند مجرد الظن والتخمين لا يوصل إلى علم ولايغنى من الحق شيئاً ، قال تعالى ﴿ إن يتبعونَ إلَّا الظنَّ وماتهوى الأنفس ولقد جاءَهُم من ربهمُ الهدى ﴾ (النجم ٢٣) وقال ﴿ ومايتبعُ أكثرهمُ إلا ظناً إنَّ الظنَّ لايُغنى من الحقِ شيئاً إنَّ الله عليم بما يفعلون ﴾ (يونس ــ ٣٦).

٨ ــ **تحديد ميدان العقل بما يقع تحت الحس** فى الدين الإسلامى هناك غيبيات وهذه لاتدخل تحت دائرة الحس ، وهناك يدخل تحت مجال الحس ويحدد ميدان العقل مع مايدخل تحت مجال الحس ويستخدم التجربة والبحث والتحليل ولقد ترك للإنسان مطلق الحرية فى أن يستخدم عقله فى هذا الميدان ؛ ميدان البحث والتجربة وجعل مايتوصل إليه الإنسان من حقائق تدعيماً للمبادىء والمعتقدات التى لاتقع ضمن مجال الحس . يقول ﷺ « أنتم أعلم بأمور دينا كم » (رواه مسلم) ويقول الله تعالى ﴿ سنُريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفُسِهم حتى يتبنَ لهم أنهُ الحق أولم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد ﴾ (فصلت ٥٣) فميدان العقل هو المحسوسات التى تعتبر أساسية لتكامل العلم والإيمان ولكن على العقل أن يتفكر ويعى ويتدبر ويعلم كل الأمور التى تخصه فى الدنيا والدين .

٩ ــ **التطور والتغير من سنن الحياة :**

يقرر القرآن الكريم أن التطور والتغير سنة من سنن الله ﴿ يسْأَلُهُ من فى السموات والأرضِ كُلَ يوم هو فى شأن . فبأى آلاء ربِكُما تُكذبان ﴾ ، (الرحمن ــ ٢٩ ــ ٣٠)

وعلى التربية الإسلامية أن تعى هذه الحقيقة حتى يستطيع الإنسان أن يتكيف مع الجديد ولايكون عرضه للقلق والحيرة والاضطراب .

وإذا كان التغير سنة والتطور حقيقة فيجب أن يكون هذا التطور والتغيير خاضعين للإسلام ولا ينبغى أن نقول إن كل مافى العصر من مستحدثات حسن ونطلب من الإسلام الموافقة عليه فالإسلام حاكم وليس محكوما عليه وهناك جوانب فى الإسلام ثابتة لاتتغير وهى جوانب قد حسم فيها الأمر مثل العقائد والعبادات والاخلاق ، وجوانب أخرى فى حياة الإنسان تخضع للتغيير ولما كان شأنها كذلك فإن الإسلام لم يحسم الأمر فيها وفتح فيها باب الاجتهاد ووضع لها قواعد وأسساً كلية ومن هنا يكون الأخذ بأسباب التقدم .

والرسول ﷺ لم يمنع استحداث ما يوافق التطور وإنما اشترط أن يكون المستحدث الجديد موافقاً للأصول الإسلامية حتى لايصطدم بسنن الخليقة فقال (من سن فى الإسلام سنة حسنه فعمل بها بعده كتبت له قبل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شىء ومن سن فى الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتبت عليه مثل وزر من عمل بها ولاينقص من أوزارهم شىء » (رواه مسلم) . والإسلام موقفه من التطور والتغير واضح ومحدد يبنى على أساس من طبائع الأشياء وقانون الفطره فالتطور فى الحياة لايمس حقائق الأمور بل يمس أطرها الخارجية .

ويتمثل دور التربية الإسلامية فى التغيير الاجتماعى فيما يسهم به الدين الإسلامى فى وضع المنهج لأجنحة التغيير وهى الإنسان والنظم المختلفة التى تنظم شئونه وقد تناولت الدراسة ما يخص بتغيير ما بالأنفس ولاشك أن هذا هو الأساس كما أو ضحت الدراسة استناداً إلى ما جاء فى القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفه ، إلا أن للإسلام نظرته كذلك فيما يختص بالنظم المختلفة فى المجتمع وتلك النظرة تساعد على استكمال أجنحة التغيير .

إن الإسلام كل لايتجزأ ونظمه مكمله بعضها بعضا ، وخاصيته الأساسية أنه ينسق بين النظم الاجتماعية حيث لاتصارع بين نظام وبين آخر ؛ لأنها مستمدة من مصدر واحد يتمثل فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ؛ ولذلك ستتناول الدراسة باختصار نظرة الإسلام إلى تلك النظم ودور التربية الإسلامية فى كل منها .

* * * * *

التربية الإسلامية والتكافل الاجتماعى

لقد حرصت التربية الإسلامية على أدق العلاقات بين الأفراد تأكيداً للإخاء بينهم وركزت تركيزاً شديداً على قيم التكافل الاجتماعى وكرهت فى الأمور التى تضعف الأخوة بين الأفراد وتضعف علاقاتهم . ولقد وصف القرآن الكريم المجتمع المسلم بأنهم إخوة

وحرصا على أن تكون العلاقات بين الأفراد طيبة لايعكر صفوها أى فعل خاطىء نجد أن الإسلام يتناول التجسس والتنابز والتحاسد والتباغض والتعامل بالربا وكل الأمور التى قد تؤثر على إضعاف العلاقات بين أفراد المجتمع

ويدعو إلى الإخاء والمساواة والبذل والعطاء والصدق فى القول والعمل مما يؤدى إلى أن يشعر الأفراد كأنهم جسد واحد وتساعد أيضاً إلى التكامل بين الأفراد هذا التكامل الذى يبدأ من الفرد ذاته وما تقوم به التربية من تزكية لهذا الفرد

وتحرص التربية الإسلامية على التكامل بين الفرد وأسرته وعلى العلاقات الأسرية وأهميتها ثم تسعى إلى التكامل الفرد والمجتمع الذى يعيش فيه ، قال تعالى : ﴿ واعبدوا الله ولاتشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القُربى والجار الجُنُبِ والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لايحب من كان مختالًا فخوراً ﴾ ، (النساء ــ ٣٦)

بهذا الشمول يجب أن تكون علاقة الإنسان بالآخرين علاقة الإحسان وليس الإحسان بالمال فقط ولكنه فى المعاملة والمعاشرة والإنفاق مما يساعد على تماسك المجتمع وحسن علاقاته إلى جانب ما أمر به الإسلام من رد التحية وأدب الاجتماع والعفو والبشاشة وإلى العلاقات الطيبة بين الأفراد والإيثار وصلة الرحم .

ثم إن التكافل الاجتماعى ينبسق من المبادىء التى تدعو إليها التربية الإسلامية ومن بينها الحرية الفردية والحرية التى تدعو إليها التربية الإسلامية وتغرسها فى نفوس الأفراد ليست الحرية بمعناها الضيق بأن يكون الفرد غير ملتزم بأى قيد من

القيود ليفعل ما يحلو له ، وهذه الحرية ليست الحرية التى يريدها الإسلام وليست هى الحرية التى تهدف التربية الإسلامية إلى غرسها فى نفوس الأفراد هذا النوع من الحرية المطلقة لايليق بكرامة الإنسان . إن الحرية التى ننشدها هى تلك التى لاتخرج عن النظام العام الذى يعيش فيه المجتمع والذى ينبثق من عقيدته والحرية فى الإسلام تجعل الفرد لاتحده إلا الحدود التى حددتها التربية الإسلامية ، فلقد جاء الإسلام لتحرير الإنسان فكانت المساواة فى الحقوق وكانت حرية الفكر والاعتقاد مكفولة . قال تعالى ﴿ لاإكراه فى الدين قد تبين الرُشْدُ من الغَىِّ فمن يكفُر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لاانفصام لها والله سميعُ عليم ﴾ ، البقرة ٢٥٦

فالتربية الإسلامية تعمل على تحرر الإنسان من ظلم الإنسان لأن اللهتعالى قد كرم الجميع بالانتماء إليه والعبودية له وحده فالكل سواسية وتعمل أيضاً على تحرير عقل الإنسان من الخرافات فلا يقبل شيئاً بدون برهان وأن يعمل عقله فى كل شىء بالأسلوب السليم. كما تعمل على تحرر الإنسان من اللهو والعبث واللامبالاه لأنه لم يخلق لذلك ﴿ أفحسبتم أنما خلقناكُم عبثاً وأنكم إلينا لاتُرجعون . فتعالى الله الملكُ الحقُ لاإله إلا هو ربُ العرشِ الكريم ﴾ ، « المؤمنون ١١٥ ــ ١١٦ »

ويتعلق دور التربية فيما يتعلق بالحرية الفردية من أن « الطفل مخلوق نام باستمرار ... وهذا النمو لايتم إلا عن طريق الحركة والنشاط .. الحركة والنشاط ينبعثان من داخل هذا المخلوق ومن أجل هذا لانمو بدون حريه فالطفل يعشق الحريه فى جوها ... وبالحرية ومامعها من نشاط وحيوية وحركة يُحصِّل الطفل الخبرات اللازمة لنموه الجسمى والعقلى والخلقى والاجتماعى والفنى والعلمى .. ومع ذلك فليست الحرية مطلقة ، لأن هذه الحرية هى الفوضى بعينها وهى التى تقضى على الحرية نفسها فى نهاية الأمر . لانبخل بالحرية على الطفل ولانسرف فى حرية غير موزونة »[1]

(١) عبد الرحمن البانى . مرجع سابق . ص٥٠ ــ ٥١ .

ومن هنا نجد أن التربية الإسلامية تعمل على ترسيخ القيم الخلقية وقيم التكافل الاجتماعى انطلاقا من مبدأ الحرية والكرامة الإنسانية تحت مظلة الدين الحنيف ، « إن النظام الاجتماعى فى الإسلام » يقوم على العدل والمساواة بين الأفراد بدون تفرقه على أساس من الجنس أو اللون أو الدين أو المركز الاجتماعى والاقتصادى ويكون التأكيد على الجانب الأخلاقى وتوفر عنصر التقوى وعدم خضوع الإنسان لأى كائن آخر إنساناً أو آلة أو طبيعة »(1) فإذا ماتحقق كل ذلك فإن أسباب التغير متوفرة فينطلق الإنسان ليغير ويطور مابمجتمعه فى إطار من الأخوة والمساواة والتكافل الاجتماعى .

إن الإنسان هو أساس التغيير ولكى يحدث التغيير لابد أن تتحق كرامة الإنسان وتحقيق آدميته وهذا أحد المبادىء التى تقوم عليها التربية الإسلامية .

وفى الإسلام يكون تحقيق ذلك من خلال ميدانين :

١ ـــ إطلاق حريته :

إن الله سبحانه وتعالى قد جعل الإنسان مكلفاً ومسئولاً وهذه المسئولية لاتتحقق إلا من خلال حرية وإلا كيف يكون الإنسان مسئولا . حرية فى العقيدة وحرية فى الرأى وحرية فى التملك لإخراج طاقاته الفطرية إلى حيز الوجود ولكن الحرية ليست مطلقة فحرية الاعتقاد لايجوز أن تتحول إلى أذى للآخرين فى عقائدهم وحرية التملك لاتكون مطلقة تلحق الضرر بأملاك الآخرين وحرية فى إبراز الطاقات الفطرية فيما جعله الله مشروعاً وليس فيما يغضب الله .

٢ ـــ عدم استغلاله من حيث هو إنسان :

إن استغلال الإنسان لآخر يعنى قتل آدميته وتعطيل طاقاته ومن هنا يرفض الإسلام ذلك وهو إلحاق الضرر بالإنسان مهما كان .

لقد غرست التربية الإسلامية قيم التكافل الاجتماعى بين الأفراد حتى يمكنهم العمل فى جو من الأخوة والمساواة دون أدنى سلبيات قد تكون عالقة بالأنفس .

★ ★ ★ ★ ★

---

(١) عبد الرحمن عبد الرحمن النقيب ، بحوث فى التربية الإسلامية ، دار الفكر العربى ، ١٩٨٣ . ص٤٣ .

التربية الإسلامية والنظام الاقتصادى

إن أول الأسس التى يرتكز عليها النظام الاقتصادى فى الإسلام هى إهتمامه بمصلحة الفرد وكذلك مصلحة الجماعة هادفاً من وراء ذلك إلى تحقيق العدالة الاجتماعية بين أفراد المجتمع وذلك عن طريق التربية والتوجيه إلى جانب التشريع فالإسلام أرسى مبدأ الحرية فى كل مجال من مجالات الحياة شريطة أن لاتتعارض الحرية مع المبادىء الأساسية التى جاء بها الإسلام ولقد كفل الإسلام مبدأ الحرية الاقتصادية وفرض أسلوب تعامل يقوم على هذا الأساس هذا السلوك الذى يكون ملزماً لكل الأفراد والذى يمكن أن نحققه بالتربية الإسلامية التى من أهدافها تحقيق العدالة بين الناس . ويقوم النظام الاقتصادى فى الإسلام بتوجيه النشاط الاقتصادى وتنظيمه على أساسين :

(أ) **شق ثابت** : وهو خاص بالمبادىء وهى عبارة عن مجموعة الأصول الاقتصادية التى جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية ليلتزم بها المسلمون فى كل زمان ومكان ، المال مال الله والبشر مستخلفون فيه ، أصل ضمان حد الكفاية لكل فرد ، أصل تحقيق العدالة الاجتماعية ، أصل احترام الملكية الخاصة ، أصل حرية الاقتصاد المقيدة .

(ب) **جانب متغير** : هو الجانب الخاص بالتطبيق .(1)

ولقد نظم الإسلام الملكية الفردية فى الإسلام وأوجب الزكاة حتى لايكون المال دولة بين الأغنياء وليبين أن للفقراء حق فى مال الأغنياء ، وفى اعتراف الإسلام بالملكية الفردية وضع فى الاعتبار المصلحة باعتبار أن هناك غريزة ذاتية تدفع الإنسان إلى العمل بجد والاستثار والتنافس الطبيعى الذى لايمكن أن يحدث إلا إذا شعر الإنسان بتملكه لهذا المال ممايساعد على زيادة الدخل والانتاج ومع ذلك وضع القيود على الأفراد حتى لايتبعوا أهواءهم ومن هذه القيود .

ـ حدد الإسلام الطرق التى يكتسب بها الأفراد أموالهم دون استغلال .

(1) محمد شوقى الفنجرى ، الوجيز فى الاقتصاد الإسلامى . دار ثقيف للنشر والتأليف ، الرياض . ١٩٨١ . ص٨ ــ ٩ .

ـــ حدد لهم الطرق التى يستثمرون منها أموالهم .
ـــ تنظيم العمل وعلاقة القوى المنتجة فيما بينها .
ـــ علاقة قوى الإنتاج بأدوات الإنتاج .

إن نظرة الإسلام للإنسان الذى هو عماد الاقتصاد والحياة الاجتماعية نظرة تتسق مع الطبيعة البشريه فهو يعترف بميوله ونزعاته الفطرية ولكنه يهذبها ويضع لها الحدود التى تتفق مع مصالح المجتمع ومصالح الفرد نفسه ؛ ولهذا نجد أن دور التربية الإسلامية كبير فيما يتعلق بهذا المضمار فهى دعوة إلى التعفف حتى فى المال الذى يجمعه الفرد بطريقة مشروعه .

لقد حرص الدين الإسلامى على أن تكون الرقابة ذاتية نابعة من الفرد نفسه وهذا لايكون إلا بالتربية إلى جانب الرقابة الخارجية المنبثقة من الشريعة وذلك لضمان سلامة السلوك الإجتماعى والزكاة فى الإسلام تمثل جانباً اقتصاديا واجتماعياً هاماً إلى جانب الجانب التعبدى حيث يخرجها الإنسان عن طواعية واختيار إلى جانب أنها تقوى العلاقة بين الأفراد . وتمثل الزكاة فى الإسلام أداة تطهير للنفس البشرية من شحها : قال تعالى ﴿ خُذْ من أموالِهم صدقةً تُطهِرُهُم وتزكيهم بها وصلِ عليهم إن صلاتك سكنُ لهم والله سميع عليم ﴾ (التوبة ـــ ١٠٣)

والإسلام يقر التفاوت بين الناس فى الغنى ، هذا الغنى المشروع إلا أنه فرض الزكاة بنسب متفاوته لمالها من أثر اجتماعى ﴿ واللهُ فضل بعضَكُم على بعضٍ فى الرزق فما الذين فُضّلوا برادى رزقهم على ماملكت أيمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون ﴾ ، (النحل ـــ ٧١)

﴿ أهم يقسمون رحمةَ ربك نحن قسمنا بينهم معيشتَهُم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمةُ ربكَ خيرٌ مما يجمعون ﴾ (الزخرف ـــ ٣٢)

ثم نجد أن الإسلام قد حرم كنز الأموال حتى يستفيد منها الأفراد والمجتمع ، قال تعالى : ﴿ ياأيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرُهبانِ ليأكلونَ أموالَ

الناسِ بالباطل ويَصُدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهبَ والفضةَ ولايُنفقونَها فى سبيل الله فبشرهُم بعذاب أليم . يوم يُحمى عليها من نارِ جهنم فتكوى بها جباهُهم وجنوبهم وظُهورهُم هذا ماكنزتم لأنفسكم فذوقوا ماكنتم تكنزون ﴾ ، (التوبة ـــ ٣٤ ـــ ٣٥)

ثم كان الميراث فى الإسلام وسيلة أخرى لمنع تكدس الأموال فى أيدى فئة قليلة حيث توزع الأموال بين أكبر عدد ممكن من أفراد الأسرة إلى جانب حرية التصرف فى جزء منه بالوصية إن النظام الاقتصادى فى الإسلام (يقوم على أن المال مال الله وأن البشر مستخلفون فيه ولذا فلابد من مراعاة مصادر الكسب ومصادر الإنفاق وإخراج الزكاة وتأدية حقوق الفقراء والتكافل بين أفراد المجتمع واستغلال كل مصادر الثروات فى صالح الإسلام والمسلمون) (١)

إن النظام الاقتصادى فى الإسلام يضع فى الاعتبار الحركة والتغيير الذى هو سنة من سنن الحياة غير أنه لاينسب الحركة إلى عامل واحد فقط ولايردها إلى ماهو مادى بحت ولاإلى ماهو معنوى بحت ولكن يضعها فى إطار متكامل وتتأثر بقدر سلوك الإنسان وجهده .

وتوجه التربية الإسلامية الفرد إلى كيفية أن ينتفع الآخرين بفائض ماله ويثاب على ذلك وتحث على إنفاق المال عن طريق الزكاة والصدقة والميراث والإحسان وغيرها وتؤكد فى نفس الفرد معنى التعاون والرحمة والتآلف والتعاطف

وهناك مجالات أخرى كثيرة تتمثل فى المحافظة على المال وضوابط للتحكم فى التعامل بين الأفراد منها محاربة الربا وحماية حقوق الأفراد بكتابة العقود ومنع الاحتكار ومنع أن يبيع الفرد على بيع أخيه وحب السماحة فى البيع والشراء والغش فى الميزان إلى جانب تنبيه إلى عدم الإسراف فى الاستهلاك وهذه كلها قيم وأنماط سلوكية تستطيع التربية الإسلامية أن تغرسها فى الأفراد ليتغير ما بأنفسهم فيتغير مجتمعهم .

★ ★ ★ ★ ★

---

(١) عبد الرحمن عبد الرحمن النقيب ، مرجع سابق ، ص٤٣ .

التربية الإسلامية والنظام السياسى

لقد تحددت أطر النظام السياسى فى الإسلام فى القرآن والسنة وجاءت عامة وتركت التفاصيل لكل زمان ومكان وقام النظام الإسلامى على أساس قانون العدل والمساواة والكرامة الإنسانية ولم يترك هذا النظام لأهواء البشر يتصرفون فيها كيف يشاؤن ﴿ ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرِهم معرضِون ﴾ ، (المؤمنون — ٧١)

﴿ وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولاتتبعْ أهواءهُم وأحْذَرْهُمْ أن يفتنوك عن بعض ماأنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يُرِيدُ الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وأن كثيراً من الناس لفاسقون . أفحكمَ الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ﴾ ، (المائدة ٤٩ — ٥٠)

فالنظام السياسى فى الإسلام (يقوم على الاحتكام لشريعة الله حكومة وشعباً وعلى كرامة الفرد والأخذ بمبادىء العدل والشورى الإسلامية)[١]

فالحكم االحقيقى لله والبشر خلفاء الله فى الأرض ولاسلطان لأحد على غيره من الناس اللهم إلا فى طاعة أولى الأمر فيما لايتعارض مع الإسلام وشريعته فولاية الناس من أعظم واجبات الدين .

ولقد عملت التربية الإسلامية على تحديد وتنظيم العلاقات بين أفراد المجتمع بما يتفق مع مبادىء الإسلام من مساواة وعدل وبما يتفق مع الكرامة الإنسانية . ويكمن دور التربية الإسلامية فى بيان حقوق الأفراد وواجباتهم وأن الدولة الإسلامية دولة مبنية على عقيدة وفكر وأن الجميع سواسية أمام القانون ولاميزة لأحد على آخر إلا بالتقوى ، ويكمن دور التربية الإسلامية فى التركيز على تلك المبادىء والقيم وجعلها واقعاً يمارسه الطلاب فى اختلاف مراحلهم التعليمية حتى لايكون الفكر فى واد والسلوك والممارسة فى واد آخر مما ييسر للخصوم ترويج

---

(١) عبد الرحمن عبد الرحمن النقيب ، مرجع سابق . ص٤٣ .

أباطيلهم .

لاشك أن إطار الشورى قد جاء عاماً وترك الجزئيات والتطبيق لكل زمان ومكان وإذا كان وجود قيادة توجه سياسة الدولة يعد أمراً حتمياً فإن هذه القيادة لابد أن تطبق شرع الله وتسير وفق قوانينه قال تعالى ﴿ الذين إن مكناهُم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور ﴾ ، (الحج ــ ٤١)

فمن أعظم واجبات القيادة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والشورى ﴿ والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهُم شُورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون ﴾ ، (الشورى ــ ٣٨)

ولقد خاطب الله رسوله الكريم فقال ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كُنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين ﴾ ، (آل عمران ــ ١٥٩)

وإلى جانب أن الشورى هى أساس النظام السياسى فإن العدالة أيضاً هى الجانب الآخر المهم ولهذا كانت العدالة القانونية دون اعتبار للفروق فى الجنس واللون والوضع الاجتماعى .

ويتصل بذلك أيضاً حرية الرأى وإبداء وجهة النظر بما لايتعارض والنظام الإسلامى العام إلى جانب الإحساس بالمسئولية أمام الله ووظيفة التربية تنمية هذا الإحساس بالمسئولية وتدريب الطلاب على إبداء الآراء والمناقشة ولايخشى أحداً إلا الله .

إن الجوانب المختلفة التى تتناولها التربية الإسلامية سواء ما يختص منها بالفرد أو الجماعة أو مايختص بالمجتمع أو النظام الاجتماعى والعلاقات المختلفة التى تحكمه والأدوار والمراكز الاجتماعية فى مجال السياسة والاقتصاد والاجتماع والتربية تعد كلها أساسية لكى يكتمل أى بناء اجتماعى وهناك علاقة بين البناء الاجتماعى

والتغيير الاجتماعى فالتغير يحدث فى البناء الكلى للمجتمع فى حجمه وتركيبه وتنظيماته ونظمه المختلفة .

ومن الصعب أن تنمو وتتغير النظم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فى مجتمع غير متعلم تسيطر على أبنائه الفوضى العقلية ويعم فيه الجهل وينبذ التخطيط .

إن للتغير أسباب وعلى الفرد ثم المجتمع بنظمه أن يأخذ بتلك الأسباب وإذا لم يحدث ذلك فمن أين يأتى التغيير .

نقطة البداية تغيير ما بالأنفس

فى نظرة الإسلام للتغير الاجتماعى تكون البداية تغيير ما بالأنفس وتغيير ما بالأنفس يتطلب تربية ولايكون إلا بها والتربية لمن ؟ للإنسان والتغير يخضع لقوانين وسنن سواء كنا نتحدث عن تغيير ما بالأنفس أو عن تغيير المجتمع فهناك علاقة سببية بين التغييرين وبدون إدراك هذه العلاقة تكون العملية كمن يحرثون فى البحر .

والتغير عملية اجتماعية متعددة الجوانب ومذهبية هذا التغير فى الإسلام مذهبية متكافلة تقوم على أساس من التخطيط العلمى المنظم لتفجير طاقات الإنسان لتغيير مابنفسه لكى يتغير المجتمع .

ولقد عدَّ الإسلام الإنسان قيمة حقيقية وركناً أساسياً فى الحياة بما أودع الله فيه من قدرة جسدية وقدرة عقلية وبماأودع الله فيه من قابلية للتكيف . ولقد خلق الله الإنسان فى أحسن تقويم وأحسن صوره وأمده بالقدرات والاستعدادت للتعلم والكفاح والمكابدة وتسخير قوانين وسنن الحياة والاستفادة منها فى التغيير وعلى الإنسان أن يتحرك ويغير ويبدل ولاينتظر المفاجآت لأنه بطل التغيير ولكنه قبل أن يتحرك عليه أن يعى سنن الحياة وقوانينها وعليه أن يغير مابنفسه بالتربية وعلى التربية أن تعمل على بناء الإنسان الذى يتمتع بالعقلية الاجتماعية القائمة على أساس المنهجية العلمية والإيمان بمبدأ العلمية والحيلولة دون اتباع الظن والوقوع فى براثن النظرة الخرافية فى فهم الأحداث .

إن هناك مشكلات كبيرة قد جعلت هذه الأمه التى من المفروض أن تكون خير أمة أخرجت للناس جعلتها تتخلف فى ميادين كثيرة وأن ظواهر اجتماعية غير صحية وأمراضاً أصبحت متفشية وملموسة ولايمكن معالجتها إلا فى ميدان التربية والتطبيق العملى .

والمسلمون إذا أرادوا أن يماشوا الأزمان ويسايروا المصالح بشريعتهم لا يجدوا من الشريعة ومصادرها مايحول بينهم وبين ذلك بل يجدون فيها نوراً يهديهم ومرونةً تذلل لهم سيرهم وتقرب غاياتهم .

وإذا كان العلم اليوم يعنى باكتشاف قوانين الحياة والمادة فإن الإسلام قد دعا إلى ذلك بهذا المعنى الخاص لذلك أعطى الله سبحانه وتعالى الإنسان الاستعدادات والطاقات الكاملة للاستفادة من قوانين الحياة المادية والاجتماعية فلم يبق إلا أن يسخرها ويكشف عنها ويخطط الحياة على أساسها .

والعلم الحديث قرآنى فى موضوعه ويفتح آفاق الإنسان ويدعو إلى العلم وينبه العقول إلى ذلك بالتفكر والتدبر والتعقل والتعلم والعلم إلى جانب أن أى إنسان يتحرك فى أى اتجاه للكشف عن قوانين الحياة وأسرارها فى سبيل أى مصلحة اجتماعية يعتبر عابداً لله مطيعاً لأوامره سبحانه وتعالى فى تحقيق هدف من أهداف الخلافة فى الأرض .

إن التغير حقيقة لايمكن للفرد أن يهرب منها والعصر الذى نعيش فيه يتغير بسرعة كبيرة إلى الدرجة التى لانجد فيها الوقت للتكيف قبل أن يأخذ مزيداً من التغير مكانه وواجب الإنسان أن يقود هذا التغير وأن يحدثه بماله من قدارت واستعدادات وإذا لم يكن للإنسان قدرة على التغير على الأقل مايخصه « مابنفسه » ماأسندها الله إليه فللإنسان قدرة على الارتقاء بنفسه وتزكيتها .

إن للإنسان عقل مدرك وشعور وإحساس وقوى كامنة وطاقات تتناسب مع حجم المسئولية والتكليف الذى جعله الله مكلفاً به ومسئولاً ، وعليه أن يفكر فى آيات الله بالنظر والتمعن فيها وتدبرها وأن يكشف سنن الله ويسخرها حتى

يستطيع أن يتحرك فى إطارها ومن هنا فقد جعل الله الإنسان بطاقاته مدارا لحركة التغيير المستمرة فى المجتمع الإنسانى وأفهمه أنه بحركته يتحرك تاريخه وتقوم حضارته ويتغير مجتمعه . وطريق دعوة رسول الله ﷺ كان طريق تحريك العقل ودفع الإنسان إلى فهم نفسه وفهم ماحوله وإدراك مافى الوجود من القوانين والأسرار ومحاولة إكتشافها وتسخيرها لصالحه وإقامة مجتمعه العادل عليها .

والإنسان فى تغيير المجتمع أو فى إندفاعه وحركته نحو هذا التغيير لابد أن ينطلق من أن تغير هذا المجتمع يخضع لقوانين وسنن ولابد أن يعى تلك القوانين والسنن ويعرف أنه مالم يتمكن من معرفة مابالنفس لتغييره فإن جهوده ستكون مبعثرة .

إن التغيير يخضع لقوانين وسنن وقد تناولت تلك الدراسة تلك القوانين وبينتها ثم انطلقت بعد ذلك إلى تحقيق الشق الأول من التغيير وهو تغيير مابالأنفس بالتربية الإسلامية والتربية الإسلامية بالذات لما لها من سمات خارقة بينتها الدراسة ، إلى جانب أن هناك أسساً عامة توجه التربية فى الإسلام ومن هذه السمات وتلك الأسس يمكن القول بأن التربية الإسلامية قادرة على تغيير مابالأنفس فى ضوء مارسمه الخالق سبحانه وتعالى لمخلوقه الإنسان المكلف المسئول بحمل الأمانة . وقد بينت الدراسة الميادين التى يمكن أن يتغير منها مابالأنفس وهذه الميادين تعد شاملة جامعة مانعة تغير مابالأنفس فى تكامل واتساق وشمول .

ولقد انطلقت الدراسة من الآيتين الكريمتين ﴿ إن الله لايُغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفُسِهم ﴾ (الرعد ــ ١١) و ﴿ هو الذى بعث فى الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويُزكيهم ويُعلمهُم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين ﴾ (الجمعة ــ ٢) ومن الآيتين خرجت الدراسة بإمكانية تغيير مابالأنفس ليتحقق وعد الله بتغيير « مابالقوم » وتناولت الدراسة كذلك كيف يمكن تغيير الطبيعة الإنسانية ونظرة الإسلام إليها وإمكانية تهذيبها وتغييرها إنطلاقاً من أن هناك علاقة بين مابنفس الإنسان وسلوكه ومن الممكن تغيير هذا السلوك بترسيخ القيم والأفكار والمفاهيم الإسلامية .

وتناولت الدراسة كذلك ماتملكه الشريعة من أساليب للضبط الاجتماعى من حدود وعبادات وعلاقة ذلك بالتغير الاجتماعى إلى جانب أن هناك نظماً مختلفة فى الإسلام ولقد بينت الدراسة كيف أن التربية الإسلامية بما تملكه من سمات وأسس تستطيع أن تجعل الفرد يعى هذه النظم لأن فيها مصلحتة ولأنها منسجمة مع فطرته التى فطر الله الناس عليها ثم أن لها دوراً فى إعداد الفرد لتلك النظم التى تشترك معها فى وحدة المصدر وهو المشرع سبحانه وتعالى فالتربية الإسلامية المنبثقة من الدين الإسلامى تملك من الوسائل مايمكنها من صياغة الإنسان .

نعم ، هناك مشكلة من الممكن أن نطلق عليها مشكلة التغيير ولكن المشكلة تكمن فى الإنسان وفى مابنفسه ، والمنهج واضح وشامل ومحدد واندفاع الإنسان للحركة المجدية مرهون باقتناعه بأن لكل مشكلة حل ولكل مشلكة أسلوب وطريقة لحلها وإنها تخضع لقوانين ولهذا مالم يستطع الإنسان أن يتمكن من معرفة تغيير مابالأنفس ، ومالم يسيطر على خارطة تغيير مابالأنفس ومالم يتمكن بوضوح من معرفة سنن التغير وقوانينه وماينبغى أن يغيره ومالاينبغى أن يغيره وماينبغى أن يضيفه سيظل المجتمع يسير فى طريقه بعفوية وتخبط ويحافظ على مقومات إعاقة أى تقدم وتغير .

ولقد ألح الإسلام فى القرآن على النظر فى سنن وقوانين التغيير وبين لنا عوامل الهدم والبناء حتى نتمكن من إقامة المجتمع وفتح لنا باب الاجتهادوبين لنا شروطه ووضع لنا الخطوط العريضة للنظم بدون تفريط فى شىء فسبحان القائل ﴿ ما فرطنا فى الكتاب من شىء ﴾ (الأنعام ٣٨)

وبين لنا أن لكل شىء سبباً وأنه خلق لحكمة ودعانا إلى التأمل فى السنن ﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفُسِهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد .﴾ ، (فصلت ــ ٥٣)

إن مشكلة المسلمين معقدة وليست بسيطة ولكن مع ذلك فإن إدراكها إدراكا

صحيحاً لايجعل الأمر مستعصياً لأن المشكلة تكمن فى معرفة الإنسان لسنن الله فى الخلق والتعامل معها ومن الممكن للإنسان أن يفعل ذلك فتغيير المجتمعات ليس خاضعاً للصدفة وإنما يخضع لقوانين والمشكلة مشكلة العقل وما يعترضه من الجمود والركود وما يصحب ذلك من جمود فى التنظيم والتخطيط .

وترك المجتمع دون تعييره ورفع مستواه هو هروب من المشكلة ويميل البعض إلى النظر إلى السماء فى انتظار الفرج فماذا فعل البشر حتى يتحقق وعد الله ؟ إن من الممكن غرس القيم والأفكار وتغيير ما بالأنفس لأن هذا علم له أصوله وله أساليبه وله منهجه وإلا لماذا تتلاعب بعض المجتمعات بالمجتمعات الأخرى فتوجهها إلى حيث تريد الأولى ، لأنهم عرفوا علم تغيير ما بالأنفس ونسمع كثيرا عن ما يسمى بالغزو الفكرى إنه وسيلة لتغيير ما بالأنفس وهذا قائم على علم وعلى دراسة لتحقيق أهداف معينة .

إن منهج الله واضح وقيمه وموازينه وسننه ثابتة ونحن جميعا بشر نخضع للسنن فماذا نحن فاعلون . ﴿ أفمن يمشى مكباً على وجهه أهدى أمَّن يمشى سوياً على صراط مستقيم ﴾ ، (الملك — ٢٢)

والحمــد لله رب العالميــن

* * * * *

المراجـــع

- القرآن الكريم .
- الحديث الشريف .
- أحمد شلبى .**مقارنة الأديان الثلاثة** . النهضة المصرية ، القاهرة . ١٩٦٥ .
- أحمد شلبى . **تاريخ التربية الإسلامية** . النهضة المصرية ، القاهرة . ١٩٧٤ .
- أحمد عبد الرحمن الشريف ، « مفهوم التربية الإسلامية » ، **محاضرات الثقافة الإسلامية** . كلية الشريعة ، قسم الثقافة الإسلامية . مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض . ١٤٠٣هـ .
- أحمد فؤاد الأهوانى ، **التربية فى الإسلام** . دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة . ١٩٥٥
- الكس كارل ، **الإنسان ذلك المجهول** . ترجمة شفيق أسعد فريد ، مكتبة المعارف ، بيروت . ١٩٨٠ .
- حامد عبد السلام زهران ، **علم النفس الاجتماعى** . عالم الكتب ، القاهرة . ١٩٧٢
- جودت سعيد ، **حتى يغيروا ما بأنفسهم** . دمشق . ١٩٧٢
- سعيد اسماعيل على ، **دراسات فى التربية الإسلامية** ، عالم الكتب ، القاهرة . ١٩٨٢ .
- سيد أحمد عثمان ، **علم النفس الاجتماعى التربوى** . مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٠ .
- صمويل باسيليوس ، **علم الإجتماع التربوى** . جامعة القاهرة ، فرع الخرطوم ، الخرطوم . ١٩٦٩ .
- عبد الرحمن البانى ، **مدخل إلى التربية فى ضوء الإسلام** . المكتب الإسلامى بيروت . ١٤٠٠هـ .
- عبد الرحمن عبد الرحمن النقيب ، **بحوث فى التربية الإسلامية** . دار الفكرالعربى . ١٩٨٣ .
- **عبد الرحمن النحلاوى ، أصول التربية الإسلامية وأساليبها** . دار الفكر ،

دمشق . ١٩٧٩ .
— عبد الرحمن النحلاوى ، **التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة** . مكتبة أسامة ، الرياض ، ١٤٠٢—١٩٨٢ .
— عبد الرحمن عميره ، « التربية الإسلامية وأثرها فى المجتمع » . **فى الاجتهاد فى الشريعة الإسلامية وبحوث أخرى** ، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض . ١٤٠٤هـ .
— عبد السميع إمام ، **أثر تطبيق الحدود فى المجتمع** ، القسم الرابع ، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، ٤٠٤ — ١٩٨٤ .
— عبد الفتاح جلال ، **من الأصول التربوية فى الإسلام** . المركز الدولى للتعليم الوظيفى للكبار سرس الليان ، منوفية ، جمهورية مصر العربية . ١٩٧٧ .
— عبد الفتاح عاشور ، **منهج القرآن فى تربية المجتمع** . مطبعة الخانجى ، القاهرة . ١٩٧٩ .
— عبد اللطيف فؤاد إبراهيم ، **المناهج** ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ١٩٦٧ .
— عبد الله بن عبد المحسن التركى ، **توجيهات الإسلام فى نطاق الأسرة** . إدارة الثقافة والنشر ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض . ١٤٠٤— ١٩٨٤م .
— عبد الهادى الجوهرى ، **القيم الإسلامية والتنمية** . مجلة كلية العلوم الاجتماعية جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، العدد الخامس ، ١٤٠١ — ١٩٨١ م .
— على القاضى ، **أضواء على التربية فى الإسلام** . دار الأنصار القاهرة . ١٩٧٩ —١٤٠٠هـ .
— ماجد عرسان الكيلانى ، **تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية** . رسالة ماجستير منشورة جمعية عمال المطابع التعاونية ، عمان . ١٩٧٨ .
— محسن عبد الحميد ، **منهج التغيير الاجتماعى فى الإسلام** . مؤسسة الرسالة ، بيروت . ١٩٨٣ .
— محمد الهادى عفيفى ، **التربية والتغير الثقافى** . مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة . ١٩٧٥ .

— محمد إبراهيم نصر ، **الإعلام وأثره فى نشر القيم الإسلامية وحمايتها** . دار اللواء ، الرياض ، ١٣٩٨هـ .
— محمد خاطر ، **أثر تطبيق الحدود فى المجتمع** ، القسم الثالث ، إدارة الثقافة والنشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض . ١٤٠٤ ٪ ١٩٨٤ .
— محمد رأفت سعيد ، « الأصالة والمعاصرة فى الفكر الإسلامى » . **محاضرات الثقافة الإسلامية** ، كلية الشريعة ، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض . ١٤٠٣ .
— محمد رأفت سعيد ، **الرسول المعلم ومنهجه فى التعليم** . دار الهدى للنشر والتوزيع ، الرياض . ١٤٠٢ ٪ ١٩٨٢ .
— محمد سيف الدين فهمى ، **التخطيط التعليمي** . مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة . ١٩٦٥ .
— محمد شوق الفنجرى ، **الوجيز فى الاقتصاد الإسلامى** . دار ثقيف للنشر والتأليف ، الرياض . ١٩٨١ .
— محمد فؤاد حجازى ، **التغير الاجتماعى** . مكتبة وهبة ، القاهرة . ١٩٧٨
— محمد قطب ، **منهج التربية الإسلامية** . دار القلم . القاهرة . د . ت .
— محمد نبيل غنايم ، « شبهات حول التشريع الإسلامى » **محاضرات الثقافة الإسلامية** ، كلية الشريعة ، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض . ١٤٠٣ هـ .
— محمد لبيب النجيحى ، **مقدمة فى فلسفة التربية** ، مكتبة الأنجلو المصرية . القاهرة . ١٩٦٣ .
— مصطفى الخشاب ، **علم الاجتماع ومدارسه** ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة . ١٩٦٥ .
— مصطفى الزرقا ، **وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية** ، إدارة الثقافة والنشر ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض . ١٤٠٤ ٪ ١٩٨٤م .
— يوسف مصطفى القاضى ومقداد ياجن ، **علم النفس التربوى فى الإسلام** . دار المريخ ، الرياض . ١٤٠١ — ١٩٨١م .

- Bennis , Warren . Chnning Orgarizations , Mcgrw Hill Co ., New york , 1966 .
- Levey , Reuben **The Social Stucture OF Islam** , Cambtidge University Prees . 1969 .
- Lippitt , G . L ., **Visualizing Change** Unversity Associates Inc ., ' a Jolla , CA ., 1973 .
- Ogburn , W . F ., . **Social Change** , Longman Co ., N . y ., 1976 .
- Rogers , Everett . Communication **Strategies For Fmily Planning** , The Free Press , New york , 1973 .
- Rothman , Jack ., **Planning & Orgnizing For Social Change** . Columbia University Press , New york , 1974 .
- Zaltman , Gerald . and Robert Quncan , **Stratgies For Planned Change** , John Wiley and Sons , New york , 1977 .

المحتويات

الموضوع — الصفحة

الموضوع	الصفحة

رقم الإيداع ٤٣٤٧ / ٨٦
الترقيم الدولى × ـــ ٦٤ ـــ ١٤٢٠ ـــ ٩٧٧

مطابع الوفاء - المنصورة
شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب
ت ٣٤٢٧٧٢١ - ص.ب ٢٣٠
تلكس DWFA UN ٢٤٠٠٤

هـذا الكتـاب

يتعرض هذا الكتاب لمفهوم التغير الاجتماعى وعوامله من حيث كونها هى الأسس التى يُعتمد عليها فى تأصيل مافى أنفس الناس وأعمالهم .

ويتعرض الكاتب من خلال هذا إلى مفهوم التربية الإسلامية وهدفها وميادينها المختلفة ، مثل ميدان العقيدة وميدان التزكية وميدان الإعداد الفكرى وتقديم المعارف ثم ميدان الإعداد الوظيفى .

ثم يتعرض بعد ذلك إلى تحقيق أهداف التربية الإسلامية وذلك من خلال الأسرة والمسجد والمدرسة ، ثم دور التربية الإسلامية فى تغيير الطبيعة الإنسانية وترسيخ القيم والأفكار والمفاهيم .

ويتناول بعد ذلك دور التربية الإسلامية مع الضبط الاجتماعى ، والتغير الاجتماعى ، والتكافل الاجتماعى ، والنظام الاقتصادى ، والنظام السياسى .

ثم يعود إلى نقطة البداية وهى تغيير ما بالأنفس .
وهذا البحث يعد من الأبحاث القيمة المتفردة فى هذا المجال بما يفيد العاملين فى جميع النواحى التربوية والإنسانية .
فنسأل الله أن يُعمَّ به النفع والفائدة .

وعلى الله قصد السبيل .

الناشر

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة .

الإداره والمطابع : المنصوره ش الامام محمد عبده المواجه لكليه الاداب ت ٣٤٢٧٢١ / ٣٥٦٢٢، / ٣٥٦٢٣،

فرع المنصوره أمام كلية الطب ت ٣٤٧٤٢٣ ص ب ٢٣ تلكس DWFA UN 24004

فرع القاهره ، ١١ ش شريف ت ٣٩٢١٩٩٧ / ٣٩٢٤٥١٨ / ٣٩٣٠٦ ٦